العولمة بين الفكرين الإسلامي والغربى

" دراسة مقارنة "

دكتور

خالد أحمد حربي

كلية الآداب — جامعة الإسكندرية

٢٠١٠



دار الكتب والوثائق القومية

عنوان المصنف: العولمة بين الفكرين الإسلامي والغربي.

اسم المؤلف: خالد حربي.

اسم الناشر: المكتب الجامعي الحديث .

رقم الايداع: 2009/13403.

الترقيم الدولي: 977-438-052-3.

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

(الحجرات، 13)

إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾

(الأنبياء ، 92)

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾

(الأنبياء 107)

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾

(سبا، 28)

مقدمة

عاش العالم فى القرن الماضى ظواهر عالمية، حُددت اصطلاحاً بمصطلحات معينة عُرفت بها مثل التغريب . ثم الحداثة، ثم ما بعد الحداثة، وكل مصطلح من هذه المصطلحات مثل فترة زمنية محددة عاشها العالم فى القرن العشرين. وانتهت جميعها إلى مرحلة العولمة المتزامنة، والتى بدت فى افق العالم منذ العقد الأخير من القرن الماضى. وبالتحديد عند انهيار الاتحاد السوفيتي. وتفتته إلى جُمهويات ودويلات صغيرة، مما أدى إلى انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بمعادلة القوة العالمية ، الأمر الذي جعلها تحاول فرض هيمنتها على العالم فدشنت مصطلح "العولمة" Globalization المزعومة . وذلك فى عام 1991 حينما ظهر المصطلح فى قاموس اكسفورد.

ومن هنا بدأ العالم يستشعر ما ترمى إليه العولمة فى كافة مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية والثقافية، بل والدينية، وبدأت ردود الأفعال تختلف بين مؤيد ومعارض لهذه الظاهرة ذات الأهداف المحددة للسيطرة على العالم لصالح شريحة معينة منه.

ولذلك كثرت الكتابات التى تتناول "العولمة" فى غالبية دول العالم، المتحضر منه، والنامى، والملاحظ أن معظم هذه الكتابات قد هاجمت العولمة فى أغلب جوانبها، والغريب أن بعضها قد كُتب بأقلام كتاب أمريكيين، وصدرت أعمالهم فى أمريكا صاحبة المبادرة بالعولمة، ناهيك عن الكتابات الأوروبية والتى وصفت إحداها العولمة بأنها "فخ" يريد أن يُوقع العالم فيه.

لكننا نتساءل ، لماذا ظهر مصطلح ومفهوم العولمة فى هذا الوقت بالذات، وهل تُعَدُّ هذه الظاهرة وليدة العصر الحاضر ، أم لها سوابق مماثلة فى تاريخ البشرية ؟

الواقع أن ظاهرة العولمة ليست حديثة. بل هى قديمة، فقد مرت الإنسانية بعدة مظاهر لها، وإن كان المصطلح نفسه "العولمة" لم يكن

معروفاً، وإن اختلفت أيضاً أهداف بعض المحاولات عن أهداف العولمة المعاصرة.

وربما تكون محاولة الإسكندر الأكبر من أقدم المحاولات، فنحن نعلم أن الإسكندر الأكبر تلميذ أرسطو حاول أن يجمع العالم كله تحت لوائه، تكملة لمسيرة أبيه "فيليب المقدونى"، وقد استطاع الإسكندر بالفعل أن يفتح بلاداً كثيرة من العالم كونت امبراطورية مترامية الأطراف . ولكن الملاحظ أن مظاهر تلك الامبراطورية قد تمثلت فى نواحٍ ثلاث : أدبية وعلمية وحضارية ، وليس أدل على ذلك من أن الإسكندر كان يصطحب فى فتوحاته أكبر ممثلى العلم والأدب والفلسفة فى عصره، وقال الإسكندر لكاهن آمون فى مصر : **"إن الله هو أبٌ لجميع البشر"**.

ويُعتقد أن هذا القول أول تصريح فى العالم لمبدأ أخوة البشر جميعهم ، ولكن تحت ظل نظام سياسي واحد، وهو النظام اليوناني.

ثم يظهر هذا المبدأ بوضوح لدى الرومان الذين استطاعوا أن يكوّنوا امبراطورية عظيمة ضمت العالم كله آنذاك ، حيث ساد مذهب الرواقيين ورفعوا شعارات تدعوا إلى المحبة والإخاء والمساواة بين البشر جميعاً. وتعد تلك المبادئ من صميم الفلسفة الرّواقيّة والتى كانت عماداً لقيام عالم واحد تحت قيادة النظام السياسي الرومانى.

وعندما جاء الإسلام، انطلق المسلمون بعقيدتهم صوب أرجاء العالم المختلفة ليوحدوه على "لا إله إلا الله" كما أمرهم ربهم "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون"(1)، وبالفعل استطاع المسلمون – المتمسكون بالعقيدة – فى أقل من قرن من إقامة دولة عظيمة امتدت من الهند شرقاً إلى جنوب فرنسا والأندلس غرباً. وكان مبدأ تفاضل الناس أنه "لا فضل لعربي على أعجمى إلا بالتقوى".

---

(1) الأنبياء ، 92.

يمكن مما سبق تصنيف مظاهر العولمة التى عاشها العالم فى مراحله المختلفة إلى نموذجين اثنين، الأولى هى العولمة الغربية، والأخرى العولمة الإسلامية، تتمثل الغربية فى نموذج الامبراطورية اليونانية بقيادة الإسكندر الأكبر ، ونموذج الامبراطورية الرومانية التى طبقت الفلسفة الرّواقيَّة، بالإضافة إلى الأفكار السياسية لشيشرون وسينيكا ، وماركوس أوريليوس وغيرهم. وقد خمدت تلك العولمة قرون طويلة حتى وجدت الفرصة تستَنحُ لها من جديد فقامت من ثباتها الطويل لتجد محاولة تفعيلها من جديد متمثلة فى النموذج الأمريكي المعاصر، مع تغيير بالطبع فى الوسائل، وطرق الوصول إلى الغايات.

أما نموذج العولمة الإسلامية فيتمثل فى الخلافة الإسلاميّة التى عاشها العالم فى العصور الوسطى، هذا النموذج الذي قام على أسس ومبادئ ، وغايات، تختلف تماماً عن مثيلتها العربية سواء القديمة منها ، أم المعاصرة.

ومن أجل ذلك تأتى هذه الدراسة لتقف على أبعاد الأختلاف والاتفاق - إن وجد - بين نموذج الغربى للعولمة والنموذج الإسلامي ، مع الأخذ فى الاعتبار أن النموذج الغربى المقصود هو المنمرذج الغربى المعاصر ، وكل ذلك بغرض الأنتهاء الى الفروق الجوهرية بين النموذجين ، وأيهما أصلح وأنفع للتطبيق على العالم ، إن كان ولابد من العولمة .

وفى سبيل ذلك تحاول هذه الدراسة الإجابة على بعض الفروض المنهجية التى تدور حولها ، وهى :

1- هل استطاعت الأمة الإسلامية عندما أمتدت خلافتها من الهند شرقا الى جنوب فرنسا والأندلس غربا أن تقدم فعلا نموذجا للعولمة ؟

2- إذا كانت الإجابة على التساؤل السابق " بالإيجاب " ، فما عناصر

وأركان هذا النموذج ؟

3- ما الأثر الملموس لتطبيق هذا النموذج على العالم ؟

4- ما عناصر النموذج الغربى المعاصر للعولمة ، وأيهما أصلح للتطبيق لخير وسعادة البشرية ؟

تلك هى الفرضيات الرئيسية التى تحاول هذه الدراسة الإيجابة عنها . وذلك باتباع المنهج التحليلي النقدي المقارن ، مع اللجوء الى المنهج التاريخي كلما اقتدت الضرورة لذلك

ومع كثرة الكتابات المحلية والعالمية التى تناولت النموذج الغربى المعاصر للعولمة تأتى الحاجة "الملحة" لإبراز النموذج الإسلامى للعولمة ، ومن هنا جاءت هذه الدراسة.

والله من وراء القصد وعليه
التكلان واليه المرجع والمآب

خالد احمد حربى

المبحث الأول

عـــالمية الإسلام

يُعد دخول النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة، البداية الحقيقية والعملية لدعوة الإسلام العالمية. وقد بدأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) بتأسيس المسجد - على التقوى - ليكون داراً للعبادة. وموطناً لنشر الرسالة للناس كافة. ومقراً لإدارة شئون الدولة. وكان أول ما بدأ به الحاكم فى دولته الوليدة، مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار. كأخوة متحابين فى الله. بالإضافة إلى إعلانه المساواة بين البشر جميعا. فلا تمايز بينهم إلا بالتقوى دون أدنى اعتبار لأصل، أو جنس، أو نسب. أو شرف، أو لون ... الخ. ثم كانت الخطوة المحورية والتاريخية التالية. والتى كانت بمثابة الأساس القوى المتين لبدء الدعوة العالمية، وهى إصداره (صلى الله عليه وسلم) للعهد النبوى الذي سمي "بعهد الموادعة" أو " وثيقة الموادعة" كأول دستور فى الإسلام. وادع فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) جميع طوائف سكان المدينة. فلهم حقوقهم التى تكفلها لهم الدولة، وفى المقابل عليهم واجبات تجاه هذه الدولة نظير تواجدهم بها كرعايا آمنين.

لقد اعترف النبي (صلى الله عليه وسلم) فى هذه الوثيقة صراحة بتعايش الأديان المختلفة جنباً إلى جنب مع الإسلام. وكم يدرك المطلع على بنود الوثيقة كيف تعمد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ذكر جميع الطوائف والجنسيات والأقليات الموجودة فى المدينة آنذاك، وكم يستشعر مدى صلاحية الرسالة المحمدية للعالمين كما أرادها الله جلَ وعلا.

لقد عمق الإسلام الوحدة بين المسلمين، وغيرهم من الأجناس الأخرى، تحت راية الدين الواحد، وفى ظل النظام الذى أقامه الرسول (صلى الله عليه وسلم)، هذا النظام الذى حمل بين طياته القابلية للتطور، وهى أهم الخصائص المميزة للإسلام، وقد تميز هذا التطور من ناحيتين، الأولى أنه كان تدريجياً بطيئاً، الثانية أنه تجاوب مع ضرورات الظروف

الاجتماعية والسياسية التى دفعت النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى تولى الشئون السياسية والعسكرية والدنيوية، وأن ينشئ الحكومة. ولقد أدت بيعة العقبة الأولى والثانية وما تلاهما من هجرة الصحابة من مكة إلى المدينة إلى ظهور المجتمع السياسي الإسلامي. والواقع أن البيعتين يمثلان نقطة تحول جوهرية فى تاريخ الإسلام، إذ أنهما كانا بمثابة حجر الزاوية فى بناء الدولة الإسلامية وذلك بإقرارهما حق المبايعة أو الاقتراع بالنسبة للرجال والنساء على السواء. وقد توافر بعد البيعتين والهجرة عنصران رئيسان فى نشأة أى مجتمع. الأول عنصر التقيد الإقليمي، حيث أصبح للمسلمين أرض يؤمنون بها ويسيطرون على مواردها الاقتصادية التى تجعل لدى الأفراد نوعاً من الشعور بالتضامن فى تحقيق الخير العام. والعنصر الثاني هو الضمير الاجتماعى الذى يعنى الالتقاء القبلى والفكرى على غاية مشتركة. يضاف إلى ذلك عنصر "السلطة السياسية" الذي توافر فى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفق ما دَوّنه فى الوثيقة التى كتبها والتى أشارت إلى أن المسلمين أمة واحدة على اختلاف أشكالهم وأجناسهم وأنسابهم[1].

فالدين الإسلامى لم يكن مقتصراً على العرب وحدهم ولا على مدينة محددة، ولا على أمة معينة. كما أن القرآن لم يميز طائفة من البشر على غيرها كما فعلت التوراة حينما ميزت بنى إسرائيل. إن الدعوة الإسلامية دعوة كلية، وعامة أو هى فى كلمة واحدة دعوة

---

(1) راجع فى ذلك :

- عبد الرازق السنهورى، فقه الخلافة وتطورها: ترجمة نادية السنهورى، ط الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992.
- محمد ضياء الريس، النظريات السياسية الإسلامية، ط الرابعة، دار المعارف 1967.

عالمية. حقاً لقد قرر القرآن أن بنى الإنسان طوائف ودرجات وطبقات، ولكن الناس جميعهم رغم هذا متساوون تماماً أمام الله وأمام القانون الإلهى، لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لغنى على فقير، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل. فالناس جميعاً أخوة أسوياء مصدرهم واحد ومصيرهم واحد. ورجوعهم فى آخر الأمر إلى نفس هذا المصدر الواحد. هذا ما أعلنه القرآن وأوضحته آياته البينات **"إنا انزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما"**[1]. قانون واحد إذن هو الذى يحكم العالم بأسره، هو القانون الإلهى الخالد، والصادر عن حاكم أوحد للعالم بأسره وهو الله عز وجل. وجعل تنفيذه لرسوله الكريم النبى ورئيس الدولة الإسلامية، وفى نفس الوقت رسول العالمين. لم تكن خطوط الدولة إذن المرسومة فى كتاب الله هى خطوط دولة مدينة City State كتلك التى أشاد وتمسك بها الإغريق القدامى، ولم تكن هذه الخطوط خطوط الدولة القومية National state المحددة تاريخياً وثقافة ولغة .. إلخ، كما لم تكن خطوط هذه الدولة هى خطوط الإمبراطورية التى تتسع فوقها الأقاليم ولا تعترف بالحدود لأن الإمبراطورية كان يتزعمها إمبراطور دنيوى يحكم بالبطش والسلاح، إنما كانت الخطوط متجهة مباشرة إلى رسم دولة عالمية يسودها الإخاء والود والمحبة، وتلتزم بالقوانين الإلهية وتدعم مبادئ الأخلاق وتقيم المساواة الحقيقية بين الناس[2] فى الحقوق والواجبات. والتى شرعها مُشرع القانون الذي يعلم مصالح العباد وهو الله تبارك وتعالى.

---

(1) النساء ، 105 .

(2) راجع ، على عبد المعطى محمد ، محمد جلال شرف ، الفكر السياسى فى الإسلام شخصيات و مذاهب ، دار المعرفة الجامعية 2000 ، ص 102 -104 .

رسم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للدنيا أعظم صورة إنسانية بكل ما فى كلمة الإنسانية من معان خالدة[1]: فالرجل الذى عاش فى بيئة رجعية معلقة على التقاليد العصبية العمياء، يقف أمام كل هذا ليرده إلى الحرية والمساواة، ويعلن فى صراحة تطبيق لما جاء به" إن الله اذهب عنكم عُبيّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، الناس بنو آدم ، وآدم من تراب ، مؤمن تقى ، وفاجر شقى ، لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم ، أو ليكوثن أهون على الله من الجعلان[2]"، وفى ضوء هذه القوة الرحيمة وغيرها من المبادئ، أقام مجتمعه الإسلامى كنموذج موجه إلى الإنسانية كلها، والعالم كله، فلم يخص قومه بالرسالة، ولم يجعل لهم ميزة على سواهم، بل جعل الناس كلهم سواسية، وبينما هو يرسي قواعد هذا الإخاء وتلك المساواة كما ستنطق به الآية الكريمة، كان العالم يغشاه كابوس من النزعات الانفرادية التى تدين بالقوم وبالجنس وبالوطن "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"[3]. ولم يكن هذا المبدأ مجرد شعارات تردد، تهدف إلى أغراض باطنية أو مطوية، بل هو حقيقة واقعة، ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما روى عن المعرور بن سويد قال : نزلنا الربذة فإذا برجل عليه بُرد وعلى غلامه مثله . فقلنا لو عملتها حُلة لك ، واشتريت لغلامك غيره. فقال: ساحدثكم : كان بينى وبين صاحب

---

(1) راجع، السعيد الشربيني الشرباصي، مذاهب وشخصيات، القاهرة (د.ت) ص 104-105.

(2) صحيح ، رواه أبو داود ، والترمزى وحسّنه ، والبيهقى واللفظ له ، وحسّنه المنذرى فى الترهيب والترغيب . وفى رواية للبذار : كلكم بنو آدم . صححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم 4568.

(3) الحجرات ، 13.

لى كلام ، وكانت أمة أعجمية ، فنلت منها . فقال لى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ساببت فلاناً ؟ قلت نعم. قال : ذكرت أمه ؟ قلت من ساب الرجال ذكر أبوه وأمه. فقال : إنك امرؤ فيك جاهلية .. إلى أن قال : اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه من طعامه ، ويلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه "[1]. وقد قرن هذا الكلام بالتصديق، فتقدم العبيد والموالى الصفوف فى كثير من الأحايين كبار الصحابة من القرشيين وغير القرشيين. وعلى ذلك كانت تعاليم الإسلام موجهة إلى تنمية العلاقات الودية بين البشر جميعاً .

لقد وضع الإسلام بمبادئه السمحة نظاماً للتعاون والمواساة، نظاماً لم يوجد من قبل، ولا يمكن أن يستغنى عنه البشر فى أى عصر من العصور، فلكى تضمن البشرية السعادة والطمأنينة، لابد من أن يعطف القوى على الضعيف، ما دامت طبيعة الحياة والمجتمع الذي يعيش فيه بنو البشر قد اقتضت أن يتجاور القوى والغني مع الضعيف والفقير، ففى المجتمع تجد البعض يعيش فى رفاهية، بينما يعيش البعض الآخر على الكفاف، وتلك هى سنن الخليقة التى لا افتعال فيها. إنما يتسرب الشقاء إلى الناس عندما يعيشون متقاطعين لا يعرف كل منهم إلا نفسه ومطالبه فحسب، مع أن الله عز وجل خلط الناس بعضهم ببعض، وجعل هذا الاختلاط على اختلاف الأحوال اختباراً صعباً ليمحص الله به قلوبهم وإيمانهم بالقضاء والقدر، وليجزى به الشاكر الصبور، ويعاقب الجاحد الجزوع. وفى الإسلام شرائع محكمة لتحقيق هذه الأهداف النبيلة، من بينها تنشئة النفوس على فعل الخير وإسداء العون وصنع المعروف، ونتائج هذه التنشئة السمحة لا يسعد بها الضعاف وحدهم، بل يرتد أمانها

---

(1) صحيح ، رواه البخارى رقم 300 ، ومسلم 1661 ، وذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء، ترجمة أبى ذر الغفارى ، جـ3 ، ص 37.

واطمئنانها على المجتمع بأسره، بل وعلى الإنسانية كلها.

ونظام العالمية كنظام ينادي به الإسلام لا يُحد بأرض أو جنس أو لغة أو لون، فهو قائم على مبدأ الإنسانية العالمية، ولا ينافى القومية، بمعنى حنين الإنسان إلى قومه وإن قصرها على حدودها الفطرية. كما لا ينافى القومية القائمة على حب الوطن والعلم فى سبيل إسعاده ورقيه، دون مساس بمصالح الآخرين ومشاعرهم وحقوقهم، ويؤمن بالاستقلال القومى الذى لا يرغم الإنسان على الاحتجاز فى مناطق ضيقة من أقطار الأرض يصعب اجتيازها والخروج منها إلى الأفق الإنساني العام. وينكر سيطرة شعب على شعب بدافع من الأنانية والاستعلاء والأثرة[1].

جمع الإسلام قبائل العرب تحت لوائه، وألفَّ بين قلوبهم. وقضى على العصبية الجاهلية، فزالت الحزازات القديمة والثارات التى بين القبائل، فخضعوا لحكم النبى وأوامر القرآن بعد أن كانوا يدينون لرؤساء متفرقين وبذلك قامت فى بلاد العرب حكومة مركزية محترمة عزيزة الجانب. وكان حماس العربى للإسلام وولاؤه له لا يقل عن حماسه لوثنيته واستبساله فى الذود عنها، ومن ثم بذل النفس والنفيس فى سبيل نشر الدين وحمايته حتى دانت قبائل العرب وأصبحت ترى فى الإسلام رمز وحدتها وشعار مجدها، وقد حملهم على الاستماتة فى نشر هذا الدين الجديد ما ضمنه لهم من حسن ثواب الدنيا والآخرة[2] قال تعالى : **"ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم**

---

(1) أبو الأعلى المودودى، الإسلام والمدنية الحديثة، طبعة القاهرة 1978، ص 34.

(2) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى و الدينى و الثقافى و الاجتماعى ، دار الجيل بيروت ، مكتبة النهضة المصرية ، ط الرابعة عشر 1416 هـــ - 1996 م ، الجزء الأول ، ص 158 .

يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله"[1].

فلقد تخطت القوانين الأخلاقية التى جاء الإسلام بها حدود القبيلة التى ولد النبى (صلى الله عليه وسلم) بين ظهرانيها فأشعر بلاد العرب كلها معنى جديداً للوحدة، ووضع لها أفقاً للتعاون والولاء أوسع مما عرفته من قبل **"إنما المؤمنون إخوة "**[2]. وقللت العقيدة ما بين الطبقات والاجناس من فروق، وفى ذلك يقول النبى (صلى الله عليه وسلم): **"اسمعوا واطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كان راسه زبيبه .. "**[3]. ويعلق ول ديورانت على ذلك بقوله[4]: تلك بلا مراء عقيدة نبيلة سامية ألفت بين الأمم المتباينة المنتشرة فى قارات الأرض فجعلت منها شعباً واحداً.

والواقع أن الإجهاز على الاستعمار الرومانى ومحو مظالمه وظلماته ما كان يقدر عليه أبداً إلا هذا الجيل الذى رباه محمد (صلى الله عليه وسلم)، إن القدرة النفسية والعقلية على المحو والإثبات انتقلت من صاحب الرسالة العظمى إلى الرجال الذين تبعوه، فإذا هم يغسلون الأرض من أدرانها لتنشأ عليها أمم من طراز جديد. وقد روى الشيخان، وأبو يعلى، وأحمد، حديثاً يضرب المثل لهذه القدوة الفائقة، فعن أبى سعيد الخدرى

---

(1) آل عمران، 169 .

(2) الحجرات ، 10 .

(3) صحيح، رواه البخارى فى صلاة الجماعة باب إمامة العبد والمولى. وفى الأحكام باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية.وفى رواية للإمام مسلم ، كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية ، بلفظ عند أبى ذر رضى الله عنه قال : إن خليلى (صلى الله عليه وسلم) أوصانى أن اسمع وأُطيع ولو كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف.

(4) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2001 ، المجلد السابع، عصر الإيمان ، ترجمة محمد بدران ص 65 - 66 .

عن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال: " **ياتى على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ فيقولون: نعم ! فيفتح لهم. ثم ياتى على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ فيقولون نعم: فيفتح لهم. ثم ياتى على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم**"[1]. وقد كانت الحكمة القرآنية هى التى تولت صيانة المسلمين على النحو الذى بلغوه، وهذا مثال على ذلك، يقول تبارك وتعالى: " **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمشِ فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة** "[2]. فهذه الحكمة التى ألفها صاحب الرسالة هى التى جعلت أتباعه ربانيين يدخلون البلاد لحساب السماء لا جريا وراء الحطام، ويحيون لله لا لطبائع الأثرة والاستعلاء[3] الباطل على عباد الله.

إن الدين الإسلامى هو آخر الأديان التى أُنزلت على الرسل، أنزله الله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ليكون نظاماً كاملاً لحياة الفرد وحياة الجماعة. وقد أُنزل للناس كافة، ولذلك جاء

---

(1) صحيح رواه البخارى فى كتاب الجهاد والسِّير برقم 2740 عن أبى سعيد الخدرى. ومسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة رضى الله عنهم برقم 2532. ورواه أبو يعلى فى مُسنده 974. وأحمد فى مُسنده.

(2) الإسراء ، الآيات 36 - 39 .

(3) راجع، محمد الغزالى، علل و أدوية، ط الثانية، القاهرة 1405-1984، ص 139-140 .

صالحاً لكل زمان ومكان. يقول جل وعلا: **"وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً "**[1] جاءت رسالة الإسلام جامعة شاملة، وجاء مالا يختلف باختلاف الزمان والمكان بها مثل العقائد والعبادات والأحكام القطعية واضحة ومفصلة تفصيلاً تاماً بالآيات العديدة الشارحة له وبالسنة النبوية الصحيحة وليس فيه اجتهاد ولا تغيير. أما ما يختلف باختلاف الزمان والمكان فقد جاء يحتاج لاجتهاد العلماء حسب كل عصر. والأمة الإسلامية أمة واحدة يقول الله تعالى: **" إن هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون "**[2]، وأمة الإسلام أمة واحدة بمعنى أنها واحدة فى دينها وثقافتها واقتصادها وقواعدها ونظمها الاجتماعية، وواحدة فى مفاهيمها السياسية وغيرها من النواحى الحضارية .

يقول الإمام محمد عبده[3]: الإسلام دين هداية وسياسة وحكم، لأن ما جاء من إصلاح البشر فى جميع شئونهم الدينية، ومصالحهم الاجتماعية والقضائية يتوقف على السيادة والقوة، والحكم بالعدل، وإقامة الحق، والاستعداد لحماية الدين والدولة، فهو لم يأت محدداً طقوساً تنظم العبادات وعلاقة الإنسان بربه فقط، أو نظاماً مبيناً لقواعد الأخلاق والسلوك فحسب كما جاءت شرائع أخرى سابقة.

فشريعة الإسلام[4]: هى شريعة الخلود، باقية إلى قيام الساعة، لا يطرأ عليها نسخ او تغيير. ولذلك وجب أن تكون وافية بجميع الأحكام

---

(1) سبأ ، 28 .

(2) الأنبياء ، 92 .

(3) محمد رشيد رضا، تفسير المنار للإمام الشيخ محمد عبده، مطبعة المنار القاهرة 1346هـ - 1927، جـ 11، ص 264.

(4) عبد الرحمن تاج الدين، السياسية الشرعية والفقه الإسلامي، طبعة القاهرة 1952، ص46.

و... ...ين التى تحتاج إليها الأمم فى تدبير شئونها، وتنظيم حياتها، صالحة لمسايرة هذه الحياة فى جميع تطوراتها ومراحل تقدمها ورقيها، تزودها فى كل عصر وفى كل جيل بما يكفل لها السعادة ويسبغ عليها السلام والأمن.

فالإسلام دين الفطرة السليمة ، والعقول الرشيدة والنفوس المستقيمة التى تتبع منهج أخلاقى إسلامى واضح المعالم يتميز بالفطرية ، والكمال ، والثبات ، والصدق ، والشمول ، والعمومية. وقد أرسى هذا المنهج الأخلاقى الإسلامى قيم وقواعد أخلاقية متينة تهدف إلى خير الإنسان فى الدنيا وسعادته فى الآخرة. وإذا كان الإسلام قد قلب ما كان عليه العرب فى جاهليتهم من العقائد ، لأنه وجدها كلها باطلة وضالة عن الحق ، فإنه لم يفعل ذلك فى ناحية الأخلاق ، وكان هذا أمراً طبيعياً. فلم يهدم كل شئ ، بل استبقى ما وجده خيراً من الأخلاق التى درج عليها العرب فى حياتهم ، ووعد من يسير عليها بحسن العاقبة وخير الجزاء فى الدنيا والآخرة . وقد اهتم الإسلام وأعلى من قيمة الإنسان صاحب الفعل الأخلاقى ، وحث على مكارم الأخلاق ، ودعا الناس إلى الفضيلة والخير ، فالخلق الكريم والاستقامة والفضيلة أساس من أسس السعادة ، وهدف من أهداف الرسالات السماوية التى جاء الإسلام متمماً لها[1].

إن الإسلام ينادى بنفسه رسالة عالمية للبشر كافة، فلم يجيئ محمد (صلى الله عليه وسلم) رسولاً لقريش ولا لعرب الجزيرة، ولا للجنس السامى - كما جاء المسيح (عليه السلام) لهداية خراف بنى إسرائيل الضالة - كما قال — أما محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد أُرسِل إلى البشر كافة فى أقطار الأرض جميعاً كما قال الله تعالى: " وما أرسلناك إلا

---

(1) خالد حربى ، الأخلاق بين الحلال والحرام والصواب والخطأ ، دراسة مقارنة بين الفكرين الإسلامى والغربى ، ط الأولى، منشأة المعارف ، الإسكندرية 2003 ، ص150.

كافة للناس بشيراً ونذيراً "[1]. والإسلام يعد نفسه خيراً وبركة ورحمة للناس جميعاً: " **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** "[2]. " **إن هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم** "[3]، فتبعاً لنظرة الإسلام الإنسانية، فإنه يريد للبشرية كلها أن تنعم بخيره ورحمته وهدايته، ولا يريد أن يكون هذا وقفاً على قوم أوجنس، على طريقة اليهود مثلا .

ومن هنا يقرر الأخوة الإسلامية التى تقوم مقام الجنس ، بل مقام الدم ومقام النسب: " **ولا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أوابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم** " [4]، و" **قل إن كان آباؤكم، وأبناؤكم، وإخوانكم، وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين** "[5]. ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): " **إن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة**" قال أبو مالك الأشعرى : وفى ناحية القوم أعرابى ، فجثى على ركبيته ورمى بيديه ، ثم قال : حدثنا يا رسول الله عنهم ، من هم - قال: فرأيت فى وجه النبى (صلى الله عليه وسلم) البشر- فقال (صلى الله عليه وسلم) : **هم عباذ من عباد الله من بلدان شتى وقبائل شتى من شعوب القبائل ، لم تكن بينهم أراحم يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون**

(1) سبأ 28 .

(2) الأنبياء107.

(3) المجادلة 22.

(4) المجادلة ، 22 .

(5) التوبة ، 24 .

بها ، يتحابون بروح الله ، يجعل الله وجوههم نورا ، ويجعل لهم منابر من لؤلؤ ، قُدام ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون "[1].

ففى المجتمع المتحاب بروح الله، الملتقى على شعائره، يقوم آخاء العقيدة مقام آخاء النسب، وربما طغت رابطة الإيمان على رابطة الدم. والحق أن أواصر الأخوة فى الله هى التى جمعت أبناء الإسلام أول مرة. وأقامت دولته، ورفعت رايته، وعليها اعتمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى تأسيس أمة صابرت هجمات الوثنية الحاقدة وسائر الخصوم المتربصين، ثم خرجت بعد صراع طويل وهى رفيعة العماد وطيدة الأركان[2].

والإخاء الإنساني من أنواع اليسر، حيث إن اليسر فى الإسلام له دلالات متنوعة. فالبر يأتى بمعنى الصلة، والرحمة، يقول الله تعالى :" **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون"** [3].

لقد بين الله سبحانه وتعالى للمؤمنين فى هاتين الآيتين القاعدة التى يسيرون عليها فى مودتهم وصلتهم، وفى عداوتهم ومقاطعتهم لغير المسلمين، فهما يرسمان المنهج الذي يجب أن يسير عليه المسلمون مع غيرهم، وهو أنه من لم يقاتل المسلمين من الكفار، ولم يعمل أو يساعد على إلحاق

---

(1) صحيح ، رواه أحمد فى مسنده ، والبغوى فى شرح السنة. ونحوه من حديث ابن عمر أخرجه الحكام فى المستدرك وصححه وأقره الذهبى . ونحوه من حديث أبى هريرة عند أبن حبان فى صحيحه واسناده صحيح.

(2) محمد الغزالى ، خلق المسلم ، طبعة القاهرة (د.ت) ، ص 176.

(3) الممتحنة ، 8-9.

الأذى والضرر بالمسلمين، فلا بأس من بره وصلته وإحسان معاملاته وتكريمه، والقضاء إليه بالعدل، وعدم الجور عليه فى حكم من الأحكام، أما من قاتل المسلمين أو حاول إيذاءهم، أو ساعد وعاون الأعداء على قتال المسلمين أو إخراجهم من أرضهم . أو إلحاق الضرر بهم، فعلى المسلمين أو يقطعوا صلتهم بهم، وأن يتخذوا جميع الوسائل لردعهم وتأديبهم حتى لا يتجاوزوا حدودهم مع المسلمين. وأن من يبرهم من المسلمين ويصلهم - وهم على تلك الحالة - فقد ظلموا أنفسهم ظلماً شديداً يستحقون بسببه العقاب الذي أوضحه الله جل وعلا فى كتابه.

ومن ثم فإن هذه المبادئ الإسلامية فى المعاملات البشرية، تتعارض مع مبدأ صراع الطبقات تعارضاً شديداً. هذا المذهب الذي يقوم على بعث الحقد والكراهية فى نفوس العمال ضد أصحاب العمل وفى نفوس الأميين ضد المثقفين. وفى نفس كل خامل ضد النابهين، وفى نفوس العاطلين ضد العاملين. والمذهب الذي يثير اضطراباً فى جو العمل، وفى جو الطلبة، وفى جو النقابات، إنما هو مذهب يتعارض جذرياً مع الجو الإسلامى، ذلك المذهب الذى يتعارض مع مبادئ الإخاء الإنساني كما يجسدها الإسلام الحنيف [1] .

ومما اتخذه الإسلام لصيانة الأخوة العامة، ومحو الظروف المصطنعة، تأكيد التكافؤ فى الدم والتساوى فى الحق وإشعار العامة والخاصة بأن التفاخر بالإنسان باطل، فما يفضل أحد صنوه إلا بميزة يحرزها لنفسه بكده وجده، فمن لا امتياز له بعمل جليل لم ينفعه اسلامه ولو كانوا ملوك الآخرة. قال تعالى :" فإذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم

---

(1) على جريشة ، نحو نظرية للتربية الإسلامية، ط أولى ، القاهرة 1986، ص 27.

خالدون "[1].

وقد حارب الإسلام هذه الأثرة الظالمة بالأخوة العادلة وأفهم الإنسان أن الحياة ليست له وحده وأنها لا تصلح به وحده، فهناك أناساً مثله، أن ذكر حقه عليهم ومصلحته عندهم، فليذكر حقوقهم عليه ومصالحهم عنده. وتذكر ذلك يخلع المرء من أثرته الصغيرة، ويحمله على الشعور بغيره حين يشعر بنفسه. فلا يتزيد ولا يفتات ... وحيث إن أعباء الدنيا جسام والإنسان وحده أضعف من أن يقف طويلاً تجاه هذه الشدائد. فإنه من العقل أن يلجأ لإخوانه لكى ينجدوه فى الوصول إلى مقاصده ولذا قيل: المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه"[2].

ومن ثم كانت الأخوة الخالصة نعمة مضاعفة، لا نعمة التجانس الروحى فحسب، بل نعمة التعاون المادى كذلك، وقد كرر الله عز وجل: " **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها**"[3].

وقد جاء الإسلام جامعاً لكل شيء من شئون الدنيا والآخرة، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: "ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء"[4]، وقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : "**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتى ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض**"[5]. وفى ذلك ما يوضح:

---

(1) المؤمنون ، 101- 102 .

(2) محمد الغزالى ، خلق المسلم ، ص 171 - 173 بتصرف.

(3) آل عمران ، 103.

(4) النحل، 89.

(5) صحيح ، رواه الحكام عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم 2937.

أن الإسلام جاء نظاماً وحكماً كما أنه عقيدة وعبادة. وهناك شبه إجماع بين علماء الإسلام وبين المستشرقين الذين درسوا الإسلام وفقهوه على أن الإسلام يتضمن نظاماً كاملاً للحكم، ينظم بمقتضاه شئون الحياة من سياسية واجتماعية وتشريعية واقتصادية، كما يبين أصول المعاملات والعلاقات بين الأفراد وبين الدول.

ولكن هذا الدين - مع هذا كله - لم يتعسف الأمور. ولم يكلف المسلمين إكراه غيرهم على اعتناق عقيدتهم. بسبب أنها الصورة الكاملة الشاملة الصادقة لدين الله الواحد فى الأرض: **" لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى "**[1]، إنما كلفهم بحماية المؤمنين حتى لا يفتنوا عن دينهم، وكف القوة عنهم بالقوة. لأن الدعوة بالحسنى هنا لا تجدى، وليس هذا مكانها. وهذا هو ما يطلق عليه فى الإسلام " الجهاد فى سبيل الله " أى الجهاد لتحقيق ربوبية الله للعباد لتكون كلمة الله العليا. لا بإكراه الناس ليكونوا مسلمين بل بإتاحة الفرصة لهم ليتخلصوا من ربوبية الطواغيت، ويستمتعوا بالعدل المطلق الذى يريده الله لهم: **" الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت "**[2].. وذلك مفرق الطرق بين الجهاد فى سبيل الله والجهاد فى سبيل الشهوات.

وتقوم علاقة الدول الإسلامية بغيرها على أساس البر والعدل فى المعاملة استناداً إلى قوله تعالى: **" لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين "**[3]، وهذه الآية تعنى أننا يجب أن نتبع سياسة حسن الجوار واحترام المعاهدات بين دولة الإسلام والدول التى لا تعتدى عليها،

---

(1) البقرة ، 256 .

(2) النساء ، 76 .

(3) الممتحنة ، 8 .

فالإسلام لا يبغى بالحرب إلا احقاقاً للحق، فليس من أغراضه احراز نصر وسيطرة على الآخرين ، يقول الله عز وجل : "**الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** "[1] فإذا وقعت الحرب للدفاع عن الأمة الإسلامية، فإن قوة المواجهة من العدو هى التى تكون هدفاً للقوات الإسلامية الضاربة، وليس جموع الشعب المسالم الأعزل، فقد كان النبى (صلى الله عليه وسلم) إذا عين أميراً على جيش أو على سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، ثم يقول: " **اغزوا باسم الله وفى سبيل الله وقاتلوا من كفر اغزو لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعوا إلى ثلاث خصال فايتهن اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وادعوهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحلوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراض المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم فى الغنيمة والفيئ شئ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. إذا حاصرت أهل حصن وأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فانكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله . وإذا حاصرت أهل الحصن فإرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن انزلهم على حكمك ، فإنك لا تدرى أتصيب**

(1) الحج ، 41 .

حكم الله فيهم ، أم لا "[1].

ولعله من هذا المنطلق كان غضب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين رأى بعض الأطفال من بيْن القتلى بعد إحدى الغزوات. فقال: " **ما بال قوم جاوز بهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية، الا إن خياركم ابناء المشركين ، الا لا تقتلوا الذرية، الا لا تقتلوا الذرية**[2]. ويلخص خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبو بكر الصديق أخلاقيات الحرب فى الإسلام فى توديعه لجيش أسامة بن زيد قائلاً: "**يا ايها الناس قفوا أوصيكم بعشرة فاحفظوها عنى : " لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا إمراة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لماكله، وسوف تمرون باناس قد فرغوا بانفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا بانفسهم فيه، وسوف تقدمون على قوم ياتونكم بآنية فيها الوان الطعام، فإذا اكلتم منها شيئاً بعد شيء، فاذكروا اسم الله عليه ..."**[3].

وفى الحرب طالب الله رسوله بالإستجابة إلى السلام فور أن يجنح له العدو[4]. ويقول عز وجل: " **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**

---

(1) صحيح، رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الجهاد والسّير باب تأمير الأمراء على البعوث ووصيته إياهم باداب الغزو وغيرها عن بريدة بلفظ : كان النبى (صلى الله عليه وسلم) إذا ابعث أميراً أو سرية دعاه ، فأوصاه . رواه أبى يعلى فى مُسنده باب الجهاد .

(2) صحيح ، رواه الإمام أحمد فى مسنده ، والنسائى ، وابن حبان ، والحاكم فى المستدرك عن الأسود بن سريع ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ، وفى السلسلة الصحيحة رقم 401.

(3) حسين فوزى النجار، الإسلام والسياسة، القاهرة (د.ت) ، ص 242.

(4) على عبد المعطى محمد ، فلسفة السياسة بين الفكرين الإسلامى و العربى دار المعرفة الجامعية 1998 ، ص 278 .

"[1] وهذا يدل ويبين أن الإسلام يقدس السلام ويدعوله ويحببه فى قلوب المسلمين إلا أن القرآن الكريم لم يترك الأمر كله ليكون سلاماً وأمناً، إذ لو اقتصر الأمر على ذلك لطمع طامع فى المسلمين، وقد يعتدى عليهم معتدى أو يظنهم البعض ضعفاء غير قادرين. ولهذا طالب القرآن بأن تكون دولة الإسلام هى دولة الأقوياء وأن تتخذ دولة الإسلام من القوة السبيل إلى إقرار السلام، فإن أعتدى على دين الله أو على الإسلام أو على المسلمين فهنا ينقلب الأمر إلى قوة .. وقوة مدمرة. مصداقاً لقوله تعالى: **"واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم"** [2]. ومع ذلك فإن الإسلام يتميز بميزة هامة تميزه كدين إلهى للناس كافة من ناحية ، وترتبط بطبيعة السلام العالمى فيه ، ألا وهى روح "السماحة" التى تعنى الود والتراحم بين المسلمين بعضهم بعضاً ، وبين بنى البشر جميعاً ، فضلاً عن "العدل".

ففى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز اشتكى إليه أهل اقليم سمرقند بعد أن دخله قائده قتيبه بن مسلم بدون أن يخيرهم بين الإسلام أو القتال : فأمر عمر قاضيه أن يُفتيه فى هذا الأمر بالعدل ، فقضى القاضى بوجوب خروج المسلمين من الإقليم ويلزموا معسكرهم ، ثم يعرضوا على أهل سمرقند - من جديد- إما الإسلام ، وإما الحرب . فلما رأى أهل سمرقند "العدل" فى خليفة المسلمين - وهم أعداءهم- دخلوا الإسلام طواعية راضين بالإسلام ديناً وحكماً عادلاً[3] .

---

(1) الأنفال ، 10 .

(2) الأنفال ، 60 .

(3) خالد حربى، ملامح الفكر السياسى فى الإسلام، ط الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية 2003، ص 33.

الأدلة النقلية على عالمية الرسالة الإسلامية

أولاً: شهادة الكتب السابقة على القرآن

تضمنت التوراة، والإنجيل التبشير بمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبيا خاتماً لكافة الأنبياء من قبله ، وأنه رسول الله إلى العالمين ، وأن رسالته هي الخاتمة للناس أجمعين، ويمكن بيان ذلك فيما يلي[1]:

جاء في سفر التثنية من التوراة قوله : "جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران ومعه ألوف الأطيار" (الباب الثالث والثلاثين) فهذه شهادة صريحة من التوراة واضحة لمحمد (صلى الله عليه وسلم) بنبوته ورسالته، إذ معنى هذا اللفظ: أن الله تعالى ناجي موسى وأوحى إليه بسيناء، وأرسل عيسى وأوحى إليه بساعير، وهي من أرض الجبل بالقدس، وبعث محمداً (صلى الله عليه وسلم) رسولاً معلناً "لا إله إلا الله" للناس كافة، مستعلناً بها من مكة الواقعة بين جبال فاران كجبل أبي قبيس وحراء وغيرهما من جبال مكة المحيطة بها.

وجاء في إنجيل يوحنا (الباب الرابع عشر، الفقرتان 15، 16) "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من (الأب) فيعطيكم معزياً (فارقليط) آخر ليمكث معكم إلى الأبد" فترجمة الفارقليط : محمد أو أحمد، وبقاؤه معهم إلى الأبد هو بقاء دينه وكتابه، وسنته بحفظ الله.

وجاء أيضاً في الباب السادس عشر الفقرة 7: " لكني أقول لكم الحق، إنه خير لكم أن أنطلق لأني إن لم أنطلق لم يأتكم المعزى (الفارقليط) ولكن إن ذهبت أرسلته إليكم". فالفارقليط هو محمد (صلى الله عليه وسلم) ولو لم يذهب عيسى (عليه السلام) برفع الله تعالى له، لما بُعث

---

(1) راجع في ذلك أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، دار الفكر العربي، (د.ت)، ص 304، وبعدها.

محمد (صلى الله عليه وسلم)، إذ كانت بعثته على فترة من الرسل كما قال تعالى :" **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يُبين لكم على فترة من الرُسُل أن تقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ فقد جاءكم بشيرٌ ونذيرٌ والله على كل شيء قدير**"[1].

ولقد وبخ الله العرب الكافرين على عدم إيمانهم برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) مع وجود آية عظيمة تدل على صدق نبوته، وثبوت رسالته، وهى معرفة علماء بنى إسرائيل وشهادتهم له بأنه نبي الله، وما جاء به هو من عند الله. قال الله تعالى :" **أولم يكُن لهم آية أن يَعلَمهُ علماء بنى إسرائيل**"[2]. وقد أخبر الله جل وعلا فى آية أخرى من سورة البقرة أن الذين أوتوا الكتاب : التوراة والإنجيل يعرفون نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) مثل معرفتهم لأولادهم، كما أخبر أن فريقاً كبيراً منهم يكتمون الحق بعد معرفتهم له، ولذا لم يؤمنوا برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) بعد معرفتهم لها تمام المعرفة " **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**"[3].

وتعد شهادة عبد الله بن سلام، أكبر وأهم أحبار وعلماء اليهود وقت ظهور الإسلام، من أكبر الشهادات للإسلام، وأنه خاتم الأديان السماوية التى أرسلت إلى العالمين.

بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة فأتاه، فقال : إنى أسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أين يشبه الولد أباه وأمه.

---

(1) المائدة، 2.

(2) الشعراء، 197.

(3) البقرة ، 146.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :" أخبرنى بهن آنفاً جبريل". قال عبد الله بن سلام : ذاك عدو اليهود من الملائكة. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :" أما أول أشراط الساعة فنارٌ تحشرُ الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهلُ الجنة فزيادة كبد الحوت. وأما الشبهُ فى الولد، فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه، كان الشبهُ له، وإذا سبق ماؤها كان الشبهُ لها". قال عبد الله بن سلام : أشهد أنك رسول الله. ثم قال : يا رسول الله إن اليهود قومٌ بُهت إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتونى عندك. فجاءت اليهودُ، ودخل عبدُ الله البيت، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أى رجلُ فيكم عبد الله بن سلام ؟" قالوا : أعلمُنا وابن أعلمُنا. وأخيرُنا وابن أخيرُنا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " أفرأيتم إن أسلم عبد الله ؟" قالوا : أعاذه الله من ذلك. فخرج عبد الله إليهم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقالوا : أشرُنا وابن شرِنا ووقعوا فيه! [1].

أما علماء النصارى فإن لهم من الشهادات برسالته ونبوته الخاتمة إلى العالمين .ما لا يحصى فى هذا المقام، ولكن كفانا شهادة الملك الصالح أصحمة النجاشي، قال الله تعالى: **" لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسينَ ورهباناً وأنهم لا يستكبرون. وإذا سَمِعوا ما أُنزل إلى الرسولِ ترى أعيُنَهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين. وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءَنا من الحق ونطمع أن يُدخِلَنا ربُنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين"**[2]. فقد

(1) صحيح ، رواه البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك ، كتاب الأنبياء رقم 3938.
(2) المائدة ، 82-85.

اجمع علماء التفسير على أن هذه الآيات نزلت فى النجاشي وأصحابه المؤمنين، وقولهم :" وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين" تعد شهادة عظيمة بالإسلام، ونبيه وكتابه الخاتم فى العالمين(1).

(1) نص رسالة النجاشي إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبحر: سلام الله عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته. لا إله إلا الله هو الذي هدانى إلى الإسلام، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقرَّبنا ابن عمك (جعفر) وأصحابه. فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً. وقد بايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله ربّ العالمين . وبعثتُ إليك يا نبي الله بأريحا بن الأصحم بن أبحر، فإنى لا أملك إلا نفسي. وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله. (ابن كثير البداية والنهاية، طبعة دار النصر، القاهرة 1966، جـ 3، ص 84). وذكر أبو داود أن النجاشي قال :" أشهد أنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم" (سنن أبي داود ، طبعة مطبعة الحلبى، القاهرة 1952، جـ2، ص 189).

ثانياً أدلة القرآن والسنة

لقد ذكر الله تعالى أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد (صلى الله عليه وسلم)، والدين الذى جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له. كما قال عز وجل: **"وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه انه لا إله إلا انا فاعبدون "**[1].

ولقد أكد القرآن الكريم على أن الإسلام هو دين المرسلين والنبيين جميعاً، من لدن أدم حتى الرسالة المحمدية التى ختم بها الرسالات[2]. وقد أكد الله هذا المعنى فى قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: **" وامرت أن أكون من المسلمين "**[3]، وعلى لسان إبراهيم وإسماعيل: **" ربنا واجعلنا مسلمين لك "**[4]، وفى وصية يعقوب لأولاده: **" إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وانتم مسلمون "**[5]، وعن موسى عليه السلام: **" توفنى مسلماً والحقنى بالصالحين "**[6]، وعن سحرة فرعون وقد آمنوا بموسى: **" ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين "**[7]، وعن حواريى عيسى : **" امنا بالله واشهد بانا مسلمون"**[8] ، وعن ملكة سبأ وقد آمنت : **" وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين "**[9]، وفى دعاء الرجل الصالح: **" واصلح لى فى**

---

(1) الأنبياء ، 25 .
(2) راجع سليمان الخطيب ، مرجع سابق ، ص 204.
(3) يونس ، 72 .
(4) البقرة ، 128 .
(5) البقرة ، 132
(6) يوسف ، 101
(7) الأعراف ، 126 .
(8) آل عمران ، 52
(9) النمل ، 44 .

ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين " [1] وقال تعالى جامعاً، ومن خلال وحدة متكاملة لا انفصام فيها ولا انقسام: **" شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه "**[2].

والإسلام فى الأصل معناه[3]: الاستسلام لله فى أمره ونهيه على لسان الوحى، فمن أسلم وجهه وقلبه لله فى كل أمر، فهو المسلم. ولما كان النبيون والمرسلون أكثر الناس لله استسلاماً فقد كانوا بذلك أول المسلمين يقول عز وجل: **" قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك امرت وانا أول المسلمين "**[4]. وبدون تسليم ولا استسلام لله فى حكمه فلا إسلام يقول تعالى: **" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم. ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما "**[5]. ومن بديهيات العقيدة الإسلامية، ضرورة إيمان المسلم بصدق جميع الرسل يقول جل وعلا: **" قولوا امنا بالله وما انزل إلينا وما انزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون "**[6]، وقوله تعالى: **" لا نفرق بين أحد من رسله "**[7].

فالقرآن الكريم يصف كل الأنبياء، قبل الرسالة الخاتمة، بأنهم

---

(1) الأحقاف ، 15 .

(2) الشورى ، 13 .

(3) سليمان الخطيب ، مرجع ، ص 205 .

(4) الأنعام ، آيات 162 - 163 .

(5) النساء ، 65 .

(6) البقرة ، 136 .

(7) البقرة ، 285 .

مسلمون، بالإضافة إلى اعتبار ضرورة الإيمان برسالاتهم كأصل من أصول الإسلام، فإن فى ذلك ما يؤكد عالمية الرسالة الإسلامية. ولقد كان بعث رسول إلى كل أمة، هو الخطوة الاولى الممهدة لعالمية الرسالة الإسلامية، حيث نجد القرآن الكريم يخبرنا بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم). قد أُرسل إلى الناس كافة بخلاف من سبقه من الرسل، فإنهم أرسلوا إلى أممهم فقط. فسيدنا نوح عليه السلام قد أرسل إلى قومه وحدهم : " **لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه** "[1]، وأُرسل هود إلى قوم عاد: " **وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون** " [2]، وكذلك موسى: " **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور** "[3] وكذلك عيسى عليه السلام: " **ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآيةٍ من ربكم** .."[4]، فكل هؤلاء الأنبياء أرسلوا إلى أقوامهم خاصة. ولم تكن رسالتهم إلى الناس كافة. وكانت الرسالة الإسلامية هى الخاتمة. يقول تعالى: " **قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا** "[5] أى جميعهم وهذا من شرفه وعظمته (صلى الله عليه وسلم) أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة كما قال الله تعالى: " **قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** "[6].

فهذه النصوص تكشف لنا عن الطبيعة العالمية للإسلام بإحتضانه

---

(1) الأعراف ، 59 .

(2) الأعراف ، 65 .

(3) إبراهيم ، 5 .

(4) آل عمران ، 49 .

(5) الأعراف ، 158 .

(6) الأنعام ، 19 .

كافة العقائد السماوية قبله، واحترامها، واحترام أنبيائها واتباعها، ومودته للمؤمنين منهم، وسماحته بحرية العبادة حتى وإن لم يؤمنوا به، ما لم يقاوموه ويحادوه. فالإسلام تبعا لفكرته هذه عن الديانات المختلفة، وتمشياً مع نزعته العالمية لا يبت الصلة بينه وبين من لا يؤمنون به ما داموا لا يحاربونه، ولا يمنعون دعوته أن تبلغ الناس، ولا يفسدون فى الأرض ولا يعتدون على الضعفاء، بل يفسح للداخلين فى سلطانه مجال الحياة كاملاً، ويفسح لمن لا سلطان له عليهم مجال التعاون العالمى فى الخير والصلاح .

فالإسلام ليس دين فئة معينة، ولا طبقة واحدة ولا أمة بعينها، بل هو دين لكافة الناس فى مشارق الأرض ومغاربها وعلى ذلك تكون رسالته عالمية تدعو فى العالمين.

وفى مجال التطبيق نجد أن الحضارة الإسلامية قامت على الدين، به نشأت وبه كان مجدها وعزها وازدهارها، فما انتشرت حضارة الإسلام ولا سادت إلا بالدين، وما تصدرت سائر الحضارات عقب ظهور الإسلام إلا بالدين، بل كان الدين طاقة متفجرة أمدت جميع مظاهر الفكر بمعين الحيوية ، ومن ثم حملت جميع مظاهر الحضارة طابعه[1] . وبذلك[2] انطلقت الحضارة الإسلامية وأخرجت الأمة وتحققت خيريتها بالقراءة والعلم ، فكانت حضارتها تتناسب ، نمواً وتخلفاً ، علوا وهبوطاً بمقدار انتمائها السليم لقيم الوحى والتزامها بمدلولاتها واستحقاقاتها فى العلم

---

(1) أحمد محمود صبحى ، هاؤم إقراؤا كتابيه ، محاولة لتجديد الفكر الإسلامى دار المعرفة الجامعية 2002 ، ص 219 .

(2) خالد حربى ، علوم حضارة الإسلام ودورها فى الحضارة الإنسانية ، تقديم عمر عبيد حسنه ، سلسلة كتاب الأمة ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، قطر 1425 هـ - 2005م ، ص6.

والتعلم . حتى أننا لنستطيع القول : بأن معجزة الرسالة الخاتمة معجزة عقلية فكرية مجردة خالدة . دافعة للتفكير والاجتهاد والتوليد فى كل زمان ومكان .. ربت عقل الإنسان ، وزودته بأدوات البحث العلمى ، وحرضته على النظر والاعتبار . ووجدت أبجديات القراءة بالمواءمة بين علوم الحياة وعلوم المادة . وجعلت الأنفس (علم الإنسان) والآفاق (علم الكون بكل مكوناته) ميدان هذا الكسب المعرفى ، وميدان النظر والاستبصار والكشف العلمى للسنن والأسباب والقوانين الناظمة لحركة الحياة والأحياء وتحصيل البراهين والآيات الدالة على الحقائق من خلال الملاحظة والاختبار ، قال تعالى: " سنريهم أياتِنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لَهُم أنّهُ الحق"[1] .

إن استقراء التاريخ الحضارى للأمة وقراءة الواقع بدقة وموضوعية يدلل على أن التخلف والتراجع والوهن الحضارى جاء نتيجة للإنسلاخ عن القيم الإسلامية والتعسف والمغالاة والتقليد فى التعامل معها ، وليس بسبب الاستمساك بها[2] . فلقد كانت العقيدة الإسلامية هى التى تقف وراء إقامة الخلافة فى الإسلام. ففى أقل من قرن واحد كان المسلمون قد وصلوا إلى الهند شرقاً وجنوب فرنسا غرباً، ففى عام 91هـ كان طارق بن زياد يطرق باب الأندلس، ودخلها بالفعل عام 92 هـ، وبذلك نجح المسلمون فى تكوين دولة عظمى مترامية الأطراف .

فالقرآن وكذلك السنة بوصفهما صادرين عن الله ورسوله والمنبعين الأساسين للإسلام ومبادئه باعتباره دين الفطرة، إنما يصبح صالحاً للتطبيق على المسلم فى كل زمان ومكان باعتبار أن العقل السليم

---

(1) فُصلت ، آية 53.

(2) خالد حربى ، علوم حضارة الإسلام ودورها فى الحضارة الإنسانية .. م.س ، ص7.

إنما يستجيب لفطرة الإنسان، ونوازعه الطيبة التى تنأى به عن مواقع الشر، ولما كانت الأخلاق والفضائل والسلوكيات الطيبة إنما تطبق فى هذه الحياة، وتشرع لاستقرارها وسلامة أبنائها، لهذا فإن هذه الحصيلة الأخلاقية المباشرة وغير المباشرة. إنما توجه إلى تنظيم شئون الدنيا وإعمارها.

والإسلام فيه من عناصر العالمية ما تجعله يستجيب دوماً لمتطلبات الواقع التى تتضمن متغيرات الزمان والمكان، وهو يتكيف دائماً مع الاستمرارية الحضارية بنفس الدرجة التى يحافظ فيها على أصالة قيمه، وجوهر عقيدته الغراء.

المبحث الثانى

العولمة الغربية

مدخل :

كثر الحديث فى السنوات الأخيرة عن العولمة Globalization على كافة المستويات، وكيف أنها قد شغلت أفكار وأقلام المفكرين الاقتصاديين والاجتماعيين، والسياسيين. كما أسهم الفلاسفة والأدباء، والفنانون. والإعلاميون فى التنظير لهذا المصطلح والذي تتخذ صورته النهائية مفهوماً اقتصادياً واضحاً. فمنذ بداية العقد الأخير من القرن العشرين انفرد القطب الرأسمالي بالعالم وذلك على أثر أفول نجم الدولة الاشتراكية العتيدة وانهيارها فى الاتحاد السوفيتي. ومن هنا تعمل العولمة جاهدة على إحياء تراث الرأسمالية التى تقضى على ما ساد العالم- بعد انهيارها- من مبادئ ديمقراطية وحرية ومساواة وعدالة اجتماعية. فكما يقول مُنظّورا العولمة: "إن مراعاة البعد الاجتماعي واحتياجات الفقراء أصبح عبئاً لا يطاق .. وأن شيئاً من اللامساواة بات أمراً لا مناص منه"[1].

وقد انعكست هذه الأفكار فى السياسات الاقتصادية الليبرالية التى تطبق الآن فى مختلف دول العالم دون مشاركة الناس أو موافقتهم عليها بزعم أن العولمة قد أدمجت اقتصاد كل دول العالم فى اقتصاد عالمى موحد تحت شعار "العالم سوق واحد" بفضل ثورة الاتصالات الحديثة المتمثلة فى الكمبيوتر، والانترنت والأقمار الصناعية .. وغير ذلك.

ومع النمو المطرد للعولمة يتوقع مُنَظّروها أن رؤوس الأموال سوف تتركز فى أيدي عشرين فى المائة فقط من السكان، إن على مستوى العالم أو على مستوى كل دولة فيه. ويعيش الثمانون فى المائة من السكان على فتات أصحاب رؤوس الأموال فى عالم بؤس تنعدم فيه مبادئ العدالة

---

[1] هانس- بيزمارتن، هارالدشومان، فخ العولمة، ترجمة عدنان عباس علــى، مراجعــة وتقديم رمزى زكى اسكندر، سلسلة عالم المعرفة 238، اكتوبر 1998، المقدمة،ص9.

الاجتماعيــة، وتنتشـر البطالــة، ويعــم الفقــر والمــرض، وترتفــع نســبة الانحطـاط الأخلاقـى والثقـافي، وتـزداد الجـرائم، وبالجملـة تضـيع كـل المكاسب التـى حققتهـا الطبقـة العاملـة والوسـطى مـن مكاسـب بعـد انهيـار الرأسمالية القديمة.

إن العولـة ليست مجرد تغيير فـى اقتصاد العـالم فحسب، ولكنهـا تــؤدي أيضــاً إلى تغــيرات نظاميــة فــى المجــالات الاجتماعية،والثقافيــة، والسياســية. فقـد أحـدثت الحركــة الانتقاليــة لـرأس المـال، والبضــائع والخدمات،والتقـدم فـى تكنولوجيـا الاتصـالات تكامـل غـير مسـبوق للـدول والأسـواق، ورأس المـال، والتكنولوجيـا، والحكومـات. إلا أن كـثيراً مـن دول العالم النامي فشلت فى الدخول فى هـذا التكامـل للاسـتفادة مـن الاقتصـاد العالمى، وذلك بسبب تفشي الفقر، ومن هنا بات من الواضح أن أقلية صغيرة من مجموع دول العالم هى التى جمعت الفوائد العظمى للعولـة. وقـد عمـل التقسيم الرقمى الجديد على اتساع الفجوات بـين الأثريـاء والفقـراء، وذلـك عن طريق إلغاء الوظائف ذات المستوى المنخفض، وخفض الأجور، وإضعاف حقوق العمال. وقد نتج عن هذا الموقف عدم الاستقرار السياسي وتقـويض التعاون الدولى.

فالعولة تقسم المجتمع عن طريق إجراءاتها الفعالة فى فئتين: فئـة باهظـة الثـراء تـرتبط بثقافـة القطـب الرأسمـالى، وتحـاول أن تنسـلخ مـن ثقافاتها، وتتسلح بالثقافة الجديدة من غذاء وسلوك وتعليم الأبنـاء .. الخ، أما الفئة الثانية فتشكل الأغلبيـة الساحقة التـى تقوقعـت علـى نفسـها فـى إحياء عشوائية ونجوع وكفور بعـد أن تقطّعـت الصلات بينهـا وبـين فئـة النخبة. وهذا النمط المعيشي يؤدي حتماً إلى أن تفرز هـذه الأغلبيـة عـادات وتقاليد وطرق تفكير وسلوكيات بائسة ومشوهة، يمكـن أن يُطلَقَ عليهـا ثقافة "منحطة".

وهكذا تتحول الدعوة للانفتاح على السوق النقدى والمالى العـالمى إلى

إيديولوجية صارمة يجب أنّ يخضع لها الجميع، وإلا فقانون الغاب سيتكفل بالعقاب وكل دول العالم تقريباً أخذت تحت تاثير الضغوط التى تمارسها عليها المنظمات الدولية. فى تطبيق سياسات الانفتاح المعولم[1]. وفى الصفحات القادمة أحاول رسم أبعاد صورة هذا الجو المشئوم. الذي يدعو إليه أصحاب العولمة الغربية ومنظّروها المخلصون.

[1] هانز – بيتر مارتين، هارالد شومان، م.س ، ص 13.

أولاً : المصطلح وتاصيله

مر العالم منذ عقد تسعينات القرن العشرين بتحولات كبرى غيرت من أصول الفكر والتوجه الفكرى الذى يتحكم فى مسيرته، وكذا الأمر فيما أُحِدث من إنقلاب شامل لكل النواحى الإقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ، وبدأت فى الظهور عبارات رنانة مثل : " نهاية التاريخ "، و " صدام الحضارات " ، و "جيران فى عالم واحد " ، يتضح من خلالها ملامح العلاقات الدولية والنظام الدولى الذى يتحكم فى هذه العلاقات. وباختصار العولمة هى " العملية التى من خلالها تصبح شعوب العالم متصلة ببعضها البعض فى كل أوجه حياتها، ثقافياً واقتصادياً ، وسياسياً وتقنياً وبيئياً "[1]. فلقد شاع استخدام لفظ "العولمة" Globalization فى السنوات الأخيرة، وبالذات بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، ومع هذا فإن الظاهرة التى يشير إليها ليست حديثة بالدرجة التى قد توحى بها حداثة هذا اللفظ فالعناصر الأساسية فى فكرة العولمة هى[2]:

- **ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء، والمتمثلة فى :**

أ — تبادل السلع والخدمات. ب— أو فى انتقال رؤوس الأموال.

ج— أو فى انتشار المعلومات والأفكار .

د — أو فى تأثر أمة بقيم وعادات غيرها من الأمم .

فكل هذه العناصر يعرفها العالم منذ قرون عديدة ماضية، وقد سبق أن أشرت إلى المحاولات المبكرة فى تاريخ البشرية، وهو الأمر الذي

---

[1] Lohan Balis & Steve Smith, The Globalization of world Politics, and introduction to international Relations, London 1997, P. 15

[2] جلال أمين: العولمة ، سلسلة أقرأ ، عدد (636) ، دار المعارف ، 1998 ، ص13.

يجعلنى أتعرض بالنقد لوجْهة نظر أحد الكتاب الغربيين فى عرضه لمراحل تطور العولمة وذلك فى موضوع لاحق من هذا البحث.

وعلى ذلك، فإنه عندما يذكر مصطلح " العولمة " Globalization فإنه يجعل الذهن يتجه إلى الكونية. أى إلى الكون الذى يعيش فيه، وإلى وحدة المعمور من الكوكب الذى نعيش عليه. ومن ثم فإن المصطلح يعبر عن حالة من تجاوز الحدود الراهنة للدول إلى آفاق أوسع وأرحب تشمل العالم بأسره .

إذن يظهر أن العولمة أو الكوننة هى العملية التى يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب التى تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزأ إلى حالة الإقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق ، وبذلك يتشكل وعى وقيم عالمية موحدة[1] .

ومن ثم فإن " العولمة " تأخذ جوانب عديدة من بينها ما يلى[2]:

1 - حرية حركة السلع والخدمات والأفكار وتبادلها الفورى دون حواجز أو حدود بين الدول، وهى شاملة حرية نقل واستثمار جميع عوامل الإنتاج من أيدى عاملة ، ورأس مال . وإدارة ، وتكنولوجيا ، وأرض أو موارد أرضية قابلة للإستثمار والاستغلال .

2- تحول العالم إلى قرية كونية بفعل تيار المعلوماتية Informative، أى أن يصبح كل سكانه فى حالة معرفة وإحاطة فورية بما يحدث لديهم، وبما يحدث لدى الأخرين.وبحكم ثورة الاتصالات والتقدم والتفنن الفائق يمكن لكل منهم التأثير والتأثر فى الآخرين وبالآخرين.

---

[1] Friedman Jonathan, Cultural Identy and Global Process, Gage Publications, London, 1994, P. 52 .

[2] محسن أحمد الخضيرى : العولمة ، مقدمة فى فكر وإقتصاد وإدارة عصر اللادولة ، مجموعة النيل العربية ، 2000 ، ص 16 ، 17 .

3- ظهور نفوذ وسطوة الشركات متعددة الجنسيات Multinationals ، وتلك متعدية الجنسيات Transnationals، وتلك فوق القوميات Superanationals كقوة عالمية فائقة النفوذ والقوة. تسعى من أجل الهيمنة، وليس لها ولاء أو إنتماء لدولة بعينها، أو لقومية محددة .

إن الاعتقاد بأن الحضارة الغربية هى رمز لا شك فيه، لحضارة إنسانية عامة، وليست مجرد إفراز من إفرازات ثقافات بعينها ، هذا الاعتقاد من وجهة نظرى، اعتقاد خاطئ، لأنه يرسخ العولمة كظاهرة حتمية لا مفر من الانجراف داخل طياتها، لكن العولمة هى عولمة حضارة بعينها . وهذه الحضارة هى بدورها تعبير عن ثقافة أمة بعينها أو ثقافة مجموعة معينة من الأمم ، تغزو الأمم الصغيرة قياساً إلى الكبيرة الغازية، والتى تتوارى بغزوها وراء مسميات براقة زائفة .

فالعولمة مفهوم مراوغ ، ومتعدد الدلالات ، ومختلف المعانى ، وعمومية إستخدام المصطلح ، تجعل من الصعب إيجاد مفهوم خاص له يتمتع بالقبول الجماهيرى شائع الإستعمال .

ومع هذا هناك تعريفات كثيرة للعولمة على حرب الذى فيه يقول:(العولمة بمعناها الظاهر هى التبادل المعمم على المستوى الكونى) وبالإمكان عكس هذا التعريف للقول إن العولمة هى تعميم التبادلات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية على نطاق الكرة الأرضية. إنها عملية تحريك للأشياء والأفكار والأشخاص بصورة لا سابق لها من السهولة والديمومة والشمولية[1] .

---

[1] محمد الجوهرى حمد الجوهرى : العولمة والثقافة الإسلامية ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، 2002 ، ص 28 .

وهذا التعريف السابق يدل على واقع حقيقى لما تهدف إليه العولمة من اجتياح كامل لكل النواحى الإقتصادية والاجتماعية والثقافية بل والسياسية. كما يشير هذا التعريف إلى ما فى العولمة من ديناميكية فى أفعالها وتحركاتها عبر الدول والقارات. وكذلك إلى ما فيها من شمول ولعل هذا كان واضحاً فى المسميات التى اتخذها العرب ليستدلوا بها على هذا المصطلح . حيث إن مصطلح العولمة لم يعرف طريقه فى العالم العربى إلا منذ 1990 ، وكان قبل ذلك له ألفاظ عديدة فى اللغة العربية منها الكوكبة. الكوكبية. الكوننة. التكوننة. الكونائية. التكوكبة . التكوكب . التكوكبية ، الشوملة الكونية ، العلاقات الجلوبالية .. إلخ.

ولقد تضافر على خلق وإتساع ظاهرة العولمة عدة عوامل أو مسببات. يمكن إيجاز أهمها فيما يلى[1] :

1- ثورة تكنولوجيا المعلومات .

2- التكتلات الإقليمية الدولية .

3- إتفاقية الجات .

4- التحالفات الإستراتيجية لشركات عملاقة.

5-الشركات العالمية متعددة الجنسيات وعابرات القارات.

6- معايير الجودة العالمية.

7- تزايد حركة التجارة والاستثمارات العالمية.

---

(1) أحمد سيد مصطفى : تحديات العولمة والتخطيط الاستراتيجى برؤية مدير القرن الحادى والعشرين ، ط131 ، 2000 ، ص 14.

وهذا الإيضاح السابق عن عوامل انتشار ظاهرة العولمة، من وجهة نظرى، يبين لنا أن مجالات الثقافة ومجالات الحضارة الغربية العلمانية الحديثة يجب أن تسود وتسيطر على العالم، وفى حالة سيادتها وسيطرتها، يجب أن تبحث هذه الثقافة عن العوامل التى تؤدى إلى استمرار سيادتها - فعلى سبيل المثال نجد أن الديموقراطية التى تسود النظام الليبرالى الغربى الحديث تحاول أن تسود وتسيطر على النظم السياسية فى العالم، وكذلك الأمر فى محاولة السينما الأمريكية فى أن تغزو العالم العربى والإفريقى.

ومما يؤكد وجهة نظرى هذه، ما يذكره ولف جانج هـ . رينيك عن العولمة ونسبة العولمة بكل جوانبها إلى العولمة الإقتصادية التى هى ظاهرة ذات مستوى واحد ، فهى تمثل من وجهة نظره تكاملاً ذا بعد عابر للحدود والقوميات لشركات فردية ذات تركيب هيكلى طبيعى وتصرف إستراتيجى طبيعى.

غير أن العولمة كمفهوم ، يشير بوجه عام إلى الإعتماد المتبادل المتزايد والمتسارع فى أرجاء العالم فى أبعاد وجوانب مختلفة ، حيث تتحول النشاطات من المجالات المحلية إلى المجال العالمى . وقد كانت المرجعية العملية للعولمة منذ القرن السادس عشر هى[1] :

أ - المجتمعات القومية . ب - النظام الدولى للمجتمعات .

ج - الأفراد . د - الجنس البشرى.

ويرسم منظروا العولمة المتطرفون صورة لعالم أطلق صراح لأعمال فيه ليخدم المستهلكين . كما فقدت الدول والقوة العسكرية أهميتها فيه أمام الأسواق العالمية . وتبعاً لوجهة النظر هذه تتباعد الإقتصاديات

---

[1] رونالد روبرتسون : العولمة : النظرية الإجتماعية والثقافة الكونية ، ترجمة أحمد محمود، ونور أمين ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1998 ، ص 35 .

والسياسة ، وتنحسر الأخيرة لحساب الإقتصاد. ومع سيطرة الأسواق وإكتساب نتائج السوق الشرعية بواسطة المنافسة الحرة وإعتبارها خارج السيطرة القومية تتضاءل قدرة الدول على التحكم فى النواتج الاقتصادية أو على تغييرها بالقوة . وسوف تخضع محاولات استخدام القوة العسكرية من أجل أهداف إقتصادية ضد مصالح الأسواق العالمية لعقوبات إقتصادية مدمرة[1]، أسعار صرف سريعة الهبوط وبورصات متقلبة ، وتجارة منهارة ... وسوف تكف الحرب عن أن تكون لها أى صلة بالعقلانية الإقتصادية . وسوف تصبح معظم المجتمعات حتماً " صناعية " بدلاً من أن تكون " محاربة " وسوف تصير الحرب ملجأ للمجتمعات الفاشلة المتأخرة إقتصادياً . وللقوى السياسية التى تحركها أهداف إقتصادية غير عقلانية[2].

ولقد تتبع رونالد روبرتسون النشأة التاريخية للعولمة الغربية ورصد مراحل تطور العولمة عبر الزمان والمكان ، وقد انتهى روبرتسون إلى المراحل الخمس التالية[3]:

المرحلة الأولى : وهى المرحلة الجنينية :-

أى مرحلة التكوين ، واستمرت هذه المرحلة فى أوروبا من بدايات القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر ، وتميزت بنمو المجتمعات القومية واتساع مجال الكنيسة الكاثوليكية ، كما تعمقت خلالها الأفكار الخاصة بالفرد وبالإنسانية وسادت نظرية مركزية

---

(1) Bergsten, C. Fred; Managing the World Economy of the Future; Washington 1994, p. 117.

(2) Akyuz, Y. and Corn ford, A; Controlling Capital Movement; Oxford University Press 1995, p. 54.

(3) روبرتسون ، العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية : ص 132 .

للعالم ، وبدأت الجغرافيا الحديثة ، وانتشر التقويم الجريجورى .

المرحلة الثانية : وهى مرحلة النشوء :-

وسادت هذه المرحلة فى أوروبا من منتصف القرن الثامن عشر إلى سبعينيات القرن التاسع عشر . وشهدت هذه المرحلة تحولاً حاداً فى فكرة الوحداوية المتجانسة بالإضافة إلى تبلور المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية الرسمية ، كذلك نشأ مفهوم أكثر تحديداً للإنسانية وزادت بشكل ملحوظ الإتفاقات الدولية ، وظهرت المؤسسات الخاصة بتنظيم العلاقات والإتصالات بين الدول. كما بدأت مشكلة قبول المجتمعات غير الأوروبية فى المجتمع الدولى، والإهتمام بأفكار القومية والعالمية .

المرحلة الثالثة : وهى مرحلة الإنطلاق :-

وقد استمرت من سبعينيات القرن التاسع عشر إلى منتصف عشرينيات القرن العشرين ، ويشير الإنطلاق هنا إلى الفترة التى أفسحت فيها إتجاهات العولمة فائقة القوة فى أزمنة وأمكنة سابقة الطريق لشكل واحد لايمكن إعتراضه ، يرتكز على النقاط المرجعية الأربع (المجتمعات القومية ، والنظام الدولى للمجتمعات ، ومفهوم الأفراد ، ومفهوم البشرية) ، وبالتالى القيود الخاصة بالمجتمعات القومية ، والأفراد الذين يتمتعون بالقوة والحيوية و " المجتمع الدولى " الواحد . وقد ظهرت فى هذه المرحلة مفاهيم كونية مثل " خط التطور الصحيح " للمجتمع القومى "المقبول "، بالإضافة إلى مفاهيم أخرى تتعلق بالهويتين القومية والفردية ، وصاحب ذلك إدماج عدد من المجتمعات غير الأوروبية فى " المجتمع الدولى " . وبدأت عملية الصياغة الدولية للأفكار الإنسانية ومحاولة تطبيقها ، فضلاً عن عولمة قيود الخبرة . كما إزدادت أشكال الإتصالات الكونية بدرجة كبيرة وتعاظمت سرعتها ، وتنامت الحركة العالمية . كذلك جرت المنافسات

الكونية مثل دورة الألعاب الأوليمبية وجوائز نوبل ، إلى جانب تطبيق فكرة الزمن العالمى ، ووقعت فى هذه المرحلة أول حرب عالمية ونشأت عصبة الأمم .

المرحلة الرابعة : وهى مرحلة الصراع من أجل الهيمنة :-

واستمرت هذه المرحلة من عشرينيات القرن العشرين إلى أواخر الستينات. وقد تميزت ببدء الخلافات والحروب الفكرية حول الشروط والمصطلحات الخاصة بعملية العولمة الزائدة . وبالصراعات الكونية حول أشكال الحياة المختلفة ، لما جرت محاولات لإرساء مبدأ الإستقلال القومى، ومفاهيم الحداثة المتضاربة (الحلفاء ضد المحور) التى أعقبتها الحرب الباردة . كذا التركيز على طبيعة الإنسانية والأمل فى الوصول إليها بسبب الهولوكست واستخدام القنبلة الذرية وبروز دور الأمم المتحدة وظهور العالم الثالث .

المرحلة الخامسة : وهى مرحلة عدم اليقين :-

وبدأت هذه المرحلة فى أواخر الستينات ، وهى ترصد تصاعد الوعى القومى فى الستينات وحدوث الهبوط على القمر . وقد شهدت عمق قيم ما بعد المادية نهاية الحرب الباردة . وشيوع الأسلحة الذرية ، والزيادة المطردة فى المؤسسات الكونية والحركات العالمية . وتواجه المجتمعات الإنسانية فى الوقت الحاضر مشكلة تعدد الثقافات وتعدد السلالات داخل المجتمع نفسه ، وصارت المفاهيم المتعلقة بالأفراد أكثر تعقيداً من خلال الإعتبارات المتصلة بالجنس والسلالة ، كما ظهرت حركة الحقوق المدنية ، وترسخ الإهتمام بالبشرية كمجتمع أنواع ، وأصبح النظام الدولى أكثر سيولة . كذلك انتهى النظام ثنائى القومية ، وإزداد الإهتمام بالمجتمع المدنى العالمى ، وبالمواطنة العالمية . وجرى دعم نظام الإعلام الكونى ، بما في ذلك التنافس حول هذا الأمر وبخاصة ما يتصل بالإسلام

كحركة تناقض العولمة .

إن كلام رونالد روبرتسون هذا يجانبه الصواب- من وجهة نظرى- فى نقطتين رئيسيتين، الأولى تتعلق برصده لمراحل تطور العولمة عبر الزمان والمكان، حيث رأى أن المرحلة الأولى أو الجنينية بدأت فى أوروبا من بدايات القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر. وقد أثبتُ فى بداية هذا الكتاب أن ظاهرة العولمة أقدم من ذلك بكثير حيث قدمت نموذج الاسكندر الأكبر ومحاولته غزو العالم، كما أفردت المبحث الأول من هذا الكتاب لعالمية الإسلام ، وكيف استطاع هذا الدين الحنيف أن يجمع معظم أرجاء العالم تحت رايته السمحاء. وذلك إنما يمثل ردى على النقطة الثانية التى ذكرها روبرتسون من أن "الإسلام حركة تناقض العولمة" ويبدو أن روبرتسون لم يدرس ولم يع درس التاريخ الإسلامى، ولو كان فعل، لوجد أن الإسلام، كدين شرائعى، وكنظام سياسى لا يتناقض مع مفهوم العالمية ، حيث أنه فى حقيقة أمره الدين السماوى الوحيد الذى جاء لكل الأمم ولم يختص بأمة معينة كغيره من الأديان السابقة عليه ، فالإسلام يصلح كعقيدة وكنظام سياسى لأن يطبق ويتبع فى كل زمان ومكان ، لأنه يستهدف صلاح البشر دون تميزهم ، تحقيقاً لإنسانية الإنسان وعمارة الدنيا ، وإقامتها على أساس من الحق والعدل المطلق ، والفضائل والوحدة الإنسانية ومصلحتها العليا ، وما يستلزم ذلك من تحقيق التكافل الإنسانى الملزم فى مجالات الحياة كلها والتعاون المثمر على الصعيد الدولى بشتى الوسائل المكنة ، على الرغم من اختلاف الأديان[1]. صحيح أن الإسلام يناقض العولمة كما ذكر رونالد روبرتسون لكنه لم يقصد بالطبع أنه يناقضها فى إفكارها التى تضر

---

[1] راجع ، مبحث عالمية الإسلام من هذا الكتاب.

بإنسان لصالح إنسان آخر، لا كحركة تفيد الإنسانية أجمع .

على أية حال ، يرى البعض أن التقدم والتطور التكنولوجى هو العامل الأساسى المسئول عن عودة ظاهرة العولمة واستمرارها وتسارعها فى الوقت الحالى، وأنه أهم قواها الدافعة . وأكثر العوامل المتصلة بالعولمة اكتفاء بنفسه ، حيث يعتمد فى وجوده على الميل الطبيعى للإنسان لتخفيف ما يبذله من جهد وما يعانيه من تعب ومشقة فى سبيل البقاء على قيد الحياة أو من أجل الإنتاج والإستهلاك. فالإنسان لا يألو جهداً فى تطوير التكنولوجيا كى يشبع حاجاته بأقل جهد ممكن وهو فى فترة تطويره للتكنولوجيا يندفع نحو المزيد ثم المزيد من العولمة[1] .

فالإنسان يطور التكنولوجيا باستمرار . وكأنه مدفوع " بيد خفيه"

إلى ذلك ، من أجل أن يشبع حاجاته بأقل جهد ممكن ، وهو فى خلال تطويره للتكنولوجيا يندفع ، دون أن يكون هذا بالضرورة جزءاً من مخطط واع ومدبر ، نحو المزيد ثم المزيد من العولمة[2] . حيث إن التطور التكنولوجى وإن كان يهدد الإنسان الفرد فى توازنه المادى والنفسى ، فإنه أيضاً يهدد الإنسان من حيث أنه إنسان بشرى عامة ، وذلك من خلال شهوة السيطرة وقهر الآخرين ، فإن هذه الشهوة تزداد قوة وسطوة كلما زاد حجم هذه السيطرة وهذا القهر من خلال شهوة إخضاع الآخرين بالقوة المادية ، كلما زادت الأسلحة المنتجة، وخاصة المغرية منها للطبيعة البشرية.

وهذا واضح فيما نراه اليوم من " هوس التكنولوجيا" (إن جاز لنا

---

[1] عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر، دراسة تحليلية ، مطبعة إيبصار ، الإسكندرية ، 2001 ، ص1.

[2]. جلال أمين : العولمة ، م. س ، ص52 .

استخدام هذا التعبير) لدى الشباب العربى، فالتطور الفائق فى الأونة الأخيرة، الذى حققته الدول الغربية فى وسائل البحث التكنولوجى والذى أدى بدوره إلى خفض تكلفة المنتج ، أدى إلى انخفاض فى أسعار الإنتاج أو السلع المنتجة، والذى جعل معظم طبقات الشعوب، وخاصة شعوب الدول النامية أو العالم الثالث . قادرة على شراء هذه السلع سواء ما هو ضرورى منها أو ما هو كمالى فى الحياة من مأكل وملبس ووسائل ترفيه وغيرها، ومن أمثلة ذلك هوس المحمول لدى الشباب وكذلك الأمر بالنسبة إلى الكمبيوتر، والدش والانترنت.. وغير ذلك.

وعلى كلٍ، فالعولمة فى تطورها تعمل بانتظام على إيجاد وبناء حضارة جديدة ، بكل مقاييس الحضارات السابقة ، لكن بأبعاد تكنولوجية جديدة غير مسبوقة ، وهى حضارة ثقافية مختلفة اختلافاً كاملاً عن كل ما عرفه العالم من قبل ، فى جوانبها الإنسانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .... ، وهى حضارة فكرية من الدرجة الأولى.

إن العالم بهذه المتغيرات يتجه نحو نظام عالمى جديد ، يتغير فيه نمط الحياة تماماً ، وأصبح يعيش حضارة الثورة الثالثة التى تشهد سرعة المتغيرات ، كما فرضت نوعية جديدة من التكنولوجيا المتقدمة ، والتى تحتاج إلى عمالة على مستوى عالٍ من التعليم والتدريب والقدرة على التحول من مهنة إلى أخرى ، واتخاذ القرار على خط الإنتاج مباشرة[(1)] . ولما كان التوجه الفكرى هو الذي يتحكم فى باقى أجهزة الدولة جمعاء كان ترتيب تناولنا لأبعاد العولمة على النحو التالى :

---

(1) حسين كامل بهاء الدين : التعليم والمستقبل ، دار المعارف ، القاهرة ، 1997 ، ص 34 – 35.

أولاً: العولمة الثقافية .

ثانياً : العولمة السياسية .

ثالثاً : العولمة الاجتماعية .

رابعاً: العولمة الإقتصادية .

أولاً : العولمة الثقافية :

يتساءل "مايك فيذرستون": هل هناك ثقافة عالمية ؟ ويستطرد لو كان المقصود بمصطلح " الثقافة العالمية " شيئاً شبيهاً بثقافة الوثيقة القومية إذن فالإجابة بالنفى . ويكون الإخفاق من نصيب مفهوم الثقافة العالمية فى هذه المقارنة ، لأن صورة ثقافة الدولة القومية هى صورة تؤكد التجانس والإندماج الثقافى . وفى هذا النمط الفكرى يستحيل تميز ثقافة عالمية مدمجة دون تكوين دولة عالمية ، وهى فكرة مستبعدة[1] . حيث إن كثيراً من " الثقافة المكثفة " العالمية تحفل بالأفكار والأنماط والتوجهات الخاصة بالدين والموسيقى والفن والطهى وغير ذلك . والحقيقة أن مسألة تحديد ما يتحقق له الإنتشار عالمياً وما لن يتحقق له الإنتشار هى مسألة ذات أهمية كبيرة فى الموقف العالمى الراهن . ونحن نعلم بالطبع أن مسألة ما يتحقق له الإنتشار يتوقف جزئياً على قضايا السلطة ؛ ولكننا نخطئ إذا اعتبرنا ذلك مجرد مسألة هيمنة توسعية للحداثة الغربية[2] .

ولكى نفهم هذه الثقافة الغربية ولكى نتحدى تلك الهيمنة الغربية ، فلابد من نبذ المنطق المزدوج الذى يسعى إلى فهم الثقافة من خلال التجانس والمغايرة ، والإندماج والتفكك ، والتوحد والتنوع ، وهى

---

[1] مايك فيذرستون وآخرون : ثقافة العولمة، القومية والعولمة والحداثة ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، المشروع القومى للترجمة (132) ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2000 ، مقدمة المترجم ، ص 3.

[2] رولند روبرتسن : محلية العولمة : الزمان – المكان والتجانس والتغاير، مقال منشور فى " محدثات العولمة " تحرير مايك فيذرستون وأخرون ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، مراجعه وتقديم د. جابر عصفور ، المشروع القومى للترجمة (93 المركز المصرى العربى ، 2000 ، ص 51 .

مصطلحات مطلقة بطبيعتها . وهذه المتقابلات الفكرية لا تتعامل مع أحسن الفروض إلا مع وجه واحد من الشكل المنشورى الذى تمثله الثقافة . فنحن فى حاجة إلى البحث فى مختلف عمليات الإندماج ومن ضمنها تكوين صور وثوابت ثقافية وصراعات بين الجماعات وأشكال من الإعتماد المتبادل ممايؤدى إلى التناقضات الفكرية التى تتحول إلى أطر مرجعية لفهم الثقافة ضمن مجتمع الدولة وبذلك يتم إسقاطها على العالم[1] .

وتدعو العولمة إلى إيجاد ثقافة كونية أو عالمية تحوى منظومة من القيم والمعايير لفرضها على العالم أجمع والعولمة الثقافية تؤدى إلى الإنقسام والتفكك وإحداث شروخ فى الأبنية الثقافية للشعوب، فضلاً عن محاولة طمس معالم الثقافة الوطنية أو إظهارها بمظهر العاجز. حيث تفرض العولمة فكراً يعتمد على ما أنتجته ثورة المعلومات والتكنولوجيا. ولذا فالعولمة الثقافية - من وجهة نظرى- خضوع الشعوب غير المسيطرة لثقافة الشعوب الغربية المسيطرة، وخضوع ثقافة هذه الشعوب أيضاً للمعايير السائدة فى سوق السلع وغياب دور الدولة .

ولقد استفادت إدارة لعبة الثقافة من أجل الهيمنة والأحتواء وأساليب التأثر والتأثير المتبادل والتعبيرات الاصطلاحية المتداولة فى نشر ثقافتها الخاصة وغزو العقول واستباحة ثقافات الشعوب خطوة بإتجاه تجنيدهم واندماجهم فيها. إن ما يسمى " بثقافة العولمة " يحمل ثقافة جديدة بصرف النظر عن انطباق المفهوم العلمى أو الأخلاقى للثقافة على الغزو الفكرى ، والطوفان المعلوماتى ، والرموز التى تشيعها وتنشرها العولمة بكل وسائل الإتصال الحديثة فائقة القدرة ، ووسائل الإعلام فائقة السيطرة بما فيها من سينما وتليفزيون وإذاعة وصحف وكمبيوتر.

---

[1] مايك فيذرسون : ثقافة العولمة :القومية والعولمة والحداثه ، ص 3 ، 4 .

وكلها تبشر بثقافة جديدة يطلق عليها البعض ثقافة " القطيع الإلكترونى" و البعض الآخر يطلق عليها ثقافة عالم ماك نسبة إلى سلسلة ماكدونالد الغذائية الشهيرة ، والبعض ينسبها صراحة إلى الثقافات الأمريكية[1].

وفهِمَ الكثيرون أن العولمة الثقافية تعنى سيطرة ثقافة الغرب على الثقافات الآخرى من خلال استثمار مكتسبات العلوم الثقافية فى ميدان الإتصال. وليس بخافٍ علينا أن الثقافة الأمريكية هى المسيطرة على الثقافة الغربية . وقد أخذت أوروبا وبخاصة فرنسا تنظِمُ المقاومةَ ضدَّ الثقافة الأمريكية باعتبار أنها خطراً استراتيجياً يهدد استقلالها السياسى والإقتصادى وهويتها الثقافية[2]. وهذه المقاومة ، من وجهة نظرى ، لا تلغى الحقيقة الأساسية التى تكمن وراء استمرار الرغبة الأوروبية فى إجتذاب الإستثمار الأمريكى المباشر للأستفادة من المجال التكنولوجى وتضييق الفجوة التكنولوجية .

إلا أن المشكلة الأولية فيما يتعلق بمفهوم "ثقافة عالمية" هى مشكلة معانى مصطلحات. فهل نستطيع أن نتحدث عن " ثقافة " بصيغة المفرد ؟ وإذا كان المقصود بلفظ "ثقافة" هو نمط حياة جماعية أو رصيد من المعتقدات والأنماط والرموز والقيم، فإننا لا نستطيع أن نتحدث إلا عن " ثقافات " وليس مجرد "ثقافة"، فنمط الحياة اجماعية أو رصيد المعتقدات وما إلى ذلك ، كلها مفاهيم تفترض أنماطاً وأرصدة مختلفة فى عالم من الأنماط والأرصدة ؟ لذا فأن فكرة "ثقافة عالمية" لا تنطبق عملياً إلا بين الكواكب . وحتى إذا كان المفهوم يتعلق ضمنياً بالبشر فى مقابل سائر

---

[1] حسين كامل بهاء الدين: الوطنية فى عالم بلا هوية ، تحديات العولمة ، دار المعارف، القاهرة ، 2000 ، ص : 148 ، 149 .

[2] عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 63 .

الأنواع ، فإن الإختلافات بين قطاعات البشر من ناحية نمط الحياة ورصيد المعتقدات تعتبر أكبر والعناصر المشتركة أكثر عمومية من أن تسمح لنا ولو بتصور وجود ثقافة عالمية[1].

إن هناك ثقافات تاريخية محددة لها دلالات عاطفية قوية لدى المشاركين فى الثقافة الخاصة . ويمكن بالطبع " اختراع " بل تصنيع مواريث كالسلع لخدمة طبقة محددة . إلا أنها لن يكتب لها البقاء إلا كجزء من مخزون الثقافة القومية . وكانت هذه هى الغريزة التى هددت معظم القوميين وساعدت على ضمان نجاحهم الدائم . فكان حفل التتويج البريطانى مثلاً فى القرن التاسع عشر يرجع إلى قدرة من أحيود على الإرتكاز إلى مواريث أقدم كثيراً كانت ذكرياتها لاتزال حية . ومع أن هذا الإحياء يعد جديداً ، فإن هذه المواريث لم تتمكن من الإزدهار . إلا لأنها تم تقديها وحازت القبول باعتبارها استمرار لماضى له قيمته الحية [2]. وعلى ذلك فإن مشكلة الثقافة الكونية والخصوصية الكونية تمثل جوهر الخلاف حول العولمة ، ذلك لأنها فى مسيرتها الإقتصادية الحرة عبر الحدود دون حواجز أو قيود تنشر مجموعة من القيم السياسية والاجتماعية والثقافية .

وعلى ذلك فإن الهدف الرئيس للعولمة فى جانبها الثقافى هو بناء ثقافة كونية شاملة النشاطات الإنسانية المختلفة . ويعتقد البعض أن هناك ضغوطاً هدفها صياغة مجموعة ملزمة من "القواعد الأخلاقية

---

(1) أنتونى سميث : نحو ثقافة عالمية ، مقال منشور فى [مايك فيذرستون]: ثقافة العولمة ، القومية والعولمة والحداثة ، مرجع سابق ، ص 163 .

(2) Hobsbawm, Eric and Ranger, Terence; The Invention of Tradition; Cambridge ٬

الكونية "، وأن هناك أكثر من مشروع لصياغة هذه القواعد الأخلاقية، التى يهتدى بعضها بالأديان السماوية ، إلى جانب الخبرة الإنسانية ، وما يسمى بـ " الثقافة المدنية " التى تركز على الديموقراطية واحترام حقوق الإنسان[1] .

وعلى هذا تمثل العولمة تحدياً ثقافياً غير مسبوق ، تحدياً ذو طابع إرتقائى خاص قائم على الإجتياح الثقافى ، ويتم هذا الإجتياح على ثلاث آليات هى[2] :

الآلية الأولى: تفقد الدول الصغيرة ثقافتها تحت ضغط إجتياح التيار الثقافى العالمى ، وتبدأ فى التخلى بالتدريج عن خصائصها الثقافية لصالح الثقافة العالمية ، وهى مرحلة دقيقة على إستلاب الثقافات المتعددة لصالح الثقافة العالمية الواحدة .

الآلية الثانية:الإنقسام والتفكك والتشرذم الداخلى، وظهور الشروخ والصدع الثقافية والحضارية ، وظهور الثقافة الوطنية فى صورة باهتة عاجزة عن تقديم الشخصية الراقية ، فى الوقت الذى تظهر فيه ثقافة العولمة الزاهية الألوان والإرتقائية .

الآلية الثالثة: ظهور روابط وجسور وأدوات تحليلية مهمتها الرئيسية إيجاد معايير قيم للعبور عليها إلى الثقافة العالمية، والوصول بالفكر الثقافى إلى أرجاء المعمورة، ومن ثم يُحدِثُ نوعاً من التواجد الثقافى .

إلا أننى أرى أن هذه الآليات الثلاثة لا يمكن أن تحدد كل أنواع

---

(1) السيِّد يسن : العولمة والطريق الثالث ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، 1999، ص 40 – 41 .

(2) محسن أحمد الخضيرى : العولمة ، مقدمة فى فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة ، م. س ، ص 26 .

الاجتياح الثقافى ، حيث إن تأثير عولمة الثقافة شئ غير محدود يمثل تلك الآليات ، بل إنه أمر قد يكون مغايراً تماماً لما يمليه من توحيد بين عدة حقائق متباينة ، وبين اتجاهات مختلفة . وليس لدى الجميع إلا أن يقبل دعواها ، وأن يقبل ويوافق على أرائها. كحتمية يصعب مقاومتها .

إن العولمة تحمل دائماً فى طياتها نوعاً من الغزو يدعى "الغزو الثقافى" ، وهو نوع من القهر . قهر الثقافة الأقوى لثقافة أخرى أضعف منها ، مثل الذى فعله المهاجرون الأوروبيون إلى استراليا لسكانها الأصليين ، وسائر صور الاستعمار الأخرى . التى هى أيضد صور للعولمة والغزو الثقافى فى نفس الوقت[1] . فعلى سبيل المثال . تشكل عولمة الإعلام والاتصال تهديداً للتعددية الثقافية فى بعض المجتمعات الأقل تطوراً. فالثقافة العربية مثلاً تعانى من ازدواجية نتيجة احتكاكها مع الثقافة الغربية بتقنياتها وعلومها وقيمها الحضارية[2].

ومن أخطر سلبيات العولمة " خلط الثقافات " أو محاولة إحلال مفاهيم الثقافة ومفاهيم الحضارة العلمانية الغربية الحديثة مكان مفاهيم الثقافة ومفاهيم الحضارة الإسلامية فى المجالات المختلفة أو محاولة إيجاد ثقافة واحدة سائدة ومسيطرة على العالم ببحث وإبراز ما هو مشترك بين الثقافات المختلفة .إن عملية خلط الثقافات تدور فى ظل تعتيم إعلامى طاغى ومسيطر وهى كما أسلفت وليدة الغزو الفكرى والغزو الثقافى والتغريب ، ولكن العولمة تعتمد عليها فى انتشار وسيطرة الثقافة العلمانية الغربية الحديثة كما سيطرت وسادت الليبرالية

---

[1] جلال أمين : العولمة ، ص 50 .

[2] أحمد مجدى حجازى : الثقافة العربية فى زمن العولمة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ص 41 .

السياسية والاقتصادية على العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتى.

إن عملية خلط الثقافات - من وجهة نظرى - ما هى إلا عملية تغريب Westernization العالم بأسره ونقل الثقافة والحضارة والنمط الغربى إلى كافة دول العالم باعتباره النمط الأمثل ، ذلك النمط الذى هو مجرد غطاء لتحقيق مزيد من تنامى الرأسمالية وإيجاد هيمنة متزايدة ، تخدم فى المقام الأول مصالح القوى الكبرى فى العالم وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية .

وترجع قوة النفوذ الثقافى الأمريكى إلى سيطرة الاقتصاد الأمريكي بالإضافة إلى اعتماد اقتصاديات أخرى على الاستهلاك فى الولايات المتحدة الأمريكية. فضلاً عن هيمنة شركات الإعلان الأمريكية على التسويق العالمى مما أدى إلى عالمية أساليب الدعاية والتسويق ، أضف إلى ذلك تفوق الولايات المتحدة فى المجالات الثقافية الشعبية وبخاصة فى صناعتى الأفلام والموسيقى. وقد استغلت الولايات المتحدة تميزها الكبير فى الإنتاج الفنى التلفازى وفى الصناعات الترفيهية وشركات الأقمار الصناعية فى التأثير فى الأفراد والمجتمعات[1] .

ومن ثم فليس غريباً أن العولمة الثقافية ليست أحادية الجانب ولا تأخذ نموذجاً محدداً دون آخر بل كانت ومازالت مدار صراع تاريخى محكم ما بين الثقافات الإنسانية عموماً، والأنجلوسكسونية والتى تتزعمها حالياً الولايات المتحدة الأمريكية، والفرانكوفونية التى تدعوا لها فرنسا بقوة وفاعلية لأنها استندت إلى إرث تاريخى ولدته شعارات الثورة الفرنسية وأنماط الإستعمار القديم. والإستقطاب الحديث من خلال اختراقات الجذب الثقافى الفرنسى للمفكرين والكتاب والفنانين من كافة الشعوب والجنسيات ومحاولة إدماجهم فى مظلة ثقافتها الفرانكوفونية[2] .

---

[1] عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 63 – 64 .

[2] آدم مهدى أحمد : العولمة وعلاقاتها بالهيمنة التكنولوجية ، ص 43 – 44 .

إلا أن أخطرها من وجهة نظرى، مع الأخذ فى الإعتبار العولمة الأسيوية بزعامة اليابان ، هى عولمة الثقافة الأمريكية بنمط تفكيرها الآلى والحركى لمنهج المنفعة والإحتواء .

وعلى هذا ، فيمكن القول بإن طبيعة ثقافة العولمة . مادية بحتة، لا مجال فيها لروحانيات أو عواطف ولا مساحة فيها للمشاعر الإنسانية، ولا للعلاقات الاجتماعية القائمة على التعاطف والتكافل والاهتمام بالآخرين. بل إنها ثقافة تروج لتمجيد الربح وسحق المنافسين، وتؤله المال وتلغى كل ما عداه من قيم ... إنها ثقافة تشكل عالماً يجعل من السهل فيه التشجيع على الانتهازية والجشع والوصول إلى الأهداف بأى وسيلة[1] . ويعبر عن ذلك أنتونى سميث ، خير تعبير حين رأى أن أية ثقافة عالمية انتقائية وكونية وغير محددة بزمان هى ثقافة منشأه أو الحلقة الأخيرة من سلسلة كاملة من المنشأت الإنسانية فى حقبة التحرر الإنسانى وسيطرة الإنسان على الطبيعة . وكانت الدولة أيضاً منشأة من هذا النوع ، فهى " جماعة افتراضية " ذات سيادة ولكنها محدودة[2] .

هذه المجالات الثقافية هى بالطبع صرخة أطلقها فمثلى الثقافة العالمية وستمحو الثقافات القومية العديدة التى لاتزال تقسم العالم بصورة مدوية. وسمتها التجمعية الحرة ومزيج ثقافاتها لم يمثل بعد تحدياً حقيقياً للثقافات القومية المدمجة والتى يتم إحياؤها من حين لآخر . وقد تؤدى الهجرة و الإختلاط الثقافى إلى ردود أفعال عرقية قوية من جانب الثقافات المحلية كما حدث فى بعض المجتمعات الغربية[3] .

---

(1) حسين كامل بهاء الدين : الوطنية فى عالم بلا هوية ، ص 150 – 151.

(2) أنتونى سميث : نحو ثقافة عالمية ، ص 169 .

(3) Samuel, Raphael (ed)Patriolism : The Making and Un making of British National Identity, vol. II: Minorities and Dutsiders. London and New York : Routledge, vol. II, p. 186 .

وفى وسط هذا الجو الثقافى العالمى ، قد يتمكن التطبيق الدينى من ملئ الفراغ الذى يحدث فى بعض الثقافات فلما كان أتباع مختلف الأديان حول العالم لايزالون محليون فى قليل أو كثير ، فإن القيادات تستطيع أن تعبر عن الصراعات والخلافات الإقليمية من منظور دينى . وهنا يقدم الخيار المحافظ القائم على المجتمعات التقليدية ذات التوجهات العامة مزايا كبرى ، فحله لمشكلة التسامى يسمح بتقسيم تقريبى للعالم إلى " نحن " و " هم " . ورسالة واضحة كهذه قد تؤدى فى ظل الظروف المناسبة إلى النجاح فى تعبئة السكان جميعاً . وحينئذ يصبح التسيس على هذا الأساس الدينى سبيلاً للمناطق لتؤكد نفسها فى مواجهة العولمة، وظهرت أوضح أمثلة حركات التطبيق الدينى المحافظ فى الشرق الأوسط الإسلامى، وبين السيخ فى البنجاب .... وغير ذلك من البلدان[1] .

وعولمة الثقافة - من وجهة نظرى - بناء على ما سبق تقتضى من الإنسان الفرد - خاصة فى بلداننا العربية - أن يكون على وعى بأصوله الدينية والعلمية والثقافية الأمر الذي يتطلب رجعة إلى الوراء إلى التراث العربى الإسلامى الأصيل واعتباره وسيلة فاعلة تعمل على القفز إلى الأمام.

هناك إرتباط قوى قديم بين الجغرافيا والثقافة ، حيث أن تراث العالم الثقافى والحضارى يتفاعل مع المكان ، فنرى على سبيل المثال أن حضارة مصر القديمة ، حضارة تعبر عن واقعها العملى الذى لا يدعو إلى التكاسل أو التأمل ، فنراها تتجسد فى كم هائل من المعابد والمقابر والأهرامات وغير ذلك مما يدل على واقعها الجغرافى الجاد ، وحتى عند مجئ الإسكندر الأكبر إليها ، ولَمِسَ هذا الواقع العملى المهتم بالعلم فعمل على إنشاء مدينته التى طالما حلم بها[2]، وهى الإسكندرية، وفيها لمس

---

(1)Arjomand, Said Amir, The Turban for the Crown : The Islamic Revolution in Iran. New York : Oxford 1988, p. 69.

(2) راجع، خالد حربي، نشأة الإسكندرية وتواصل نهضتها العلمية، الإسكندرية 1999، ص21.

البطالة الموقع الجغرافى أيضاً فانشئوا مكتبة الإسكندرية لتعبر عن هذا الينبوع العلمى العملى الجاد .

وعلى النقيض ، نجد أن الحضارة اليونانية حضارة فكرية أكثر منها عملية ، وهذا أيضاً مرتبط بالجغرافيا اليونانية ذات الجبال العالية الداعية إلى التأمل أكثر منها إلى العمل ، فنجد أن اليونان يرفعون من قيمة التأمل الذى هو خلق السادة ، أما التجربة والعمل فهى أمور تناسب شيم العبيد. فلم تظهر التجربة إلا بعد أن رجعت الحضارة مرة أخرى إلى أرض العمل والجدية أرض العرب ، ومنها مصر ، وهذا واضح جلى فى تاريخ العلم .

وقد أدى الإرتباط ما بين الثقافة والجغرافيا فى عصر العولمة إلى إحداث تنمية ثقافية وتطور ثقافى لكل أنواع الثقافات سواء كانت ، ثقافة تقليدية فطرية أو مكتسبة ، أو ثقافة غير تقليدية مبتكرة . وترسيخها كأداة تنظيم للسلوك الفردى والجماعى ، وما تغرسه فى الأفراد من ضوابط وما تضعه لهم من مبادئ حاكمة ومتحكمة . ومن خلال تمجيدها لعادات وتقاليد وأعراف وقيم بذاتها ، أو من خلال نبذها ورفضها لقيم وأعراف وتقاليد وعادات أخرى[1] .

ولابد أن نخلص أيضاً إلى الطابع الغالب على عولمة الثقافة الغربية والأمريكية على حد سواء، ذلك الطابع التنافسى ممثلاً فى العولمة والعولمة المضادة، أو عولمة الأقوياء وعولمة المستضعفين، أو إن شئت قُل: عولمة المصدر المهيمن وعولمة المستورد المهيمن عليه. فالعولمة توسع نطاق صراع الحضارات وتنطوى على كثير من التحديات. خاصة بالنسبة لمن يحلمون ويعملون بفاعلية وإيجابية لتحقيق حلمهم .

---

(1) محسن أحمد الخضيرى: العولمة الإجتياحية، مجموعة النيل العربية 2001 ، ص 196 .

وهذه التدفقات الثقافية العالمية ليست نتاج للتدفق والتبادل بين الدول ولكنها جزء لا يتجزأ من العمليات التى تتم على نطاق عالمى . ومن ثم فإنه ليس من الدقة أن نزعم - على نطاق عام كلى - بأن الثقافة العالمية تهدد الثقافات المحلية وتضعفها أو تنطوى على هيمنة عالمية - والواقع أن الثقافات المحلية المختلفة والمتعددة الثرية بمضامينها شديدة المحلية تقاوم الثقافة العالمية وتغذيها فى الوقت نفسه بعناصرها المحلية الثرية أيضاً[1] .

وينتصر المفكر الفرنسى روجيه جارودى لخصوصية الثقافة والإبداع حيث يجد العولمة خطراً يهدد مستقبل الإنسان فى حريته وفى تمايزه الحضارى والثقافى . ويحذو فردريكو ومايور - مدير اليونسكو السابق - حذو جارودى فى إنتصاره لخصوصية الثقافة حيث يقول :

" إن الحياة دفق دائم بمعنى أن كل شئ يتغير كل يوم فى أجسامنا وعقولنا .. فيما نفكر ونتخيل ونحلم ونشعر ونتعلم ونحب أو نرفض . نتيجة لذلك كله : هو سلوكنا ذلك التعبير السامى عن الثقافة "[2].

ويحذر فيدريكو مايور - يحذر من العولمة التى تدعو إلى فناء الذات الثقافية للجماعات، ويرى أن ذلك إعتداء على كرامة الإنسان وإختياره. وكان مايور قد قرأ الأية الكريمة: ((**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**)) وهى الآية التى جعلت التعارف الغاية من الخلق[3] ، أى إتاحة السبل أمام الشعوب لتبادل الثقافات والإعتراف بالآخرين ، وهو ما يتفق مع العالمية لا العولمة التى تهدد الخصوصية الثقافية[4].

---

(1) راجع بهاء شاهين : العولمة والتجارة الإلكترونية ، رؤية إسلامية ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2000 ، ص 20 – 26 .

(2) عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 61 .

(3) الغاية من هذه الآية هو التعارف و معرفة الأنساب ووجود تراحم بين الناس بواسطة ذلك ، أما الغاية من الخلق فهو العبادة كما فى قوله سبحانه وتعالى " وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ".

(4) لمرجع السابق : ص 62 .

إلا أنه يوجد - من وجهة نظرى - جانب هام لعولمة الثقافة ألا وهو: التطور التكنولوجى ، فما هو إذن حقيقة هذا الجانب ؟!

يمكن النظر إلى التطور التكنولوجى باعتباره قوة خارجية . بغض النظر عن السياسات الوطنية للحكومات ، تدعم وتؤكد الروابط الدولية ، ذلك أنها توسع نطاق البعد العالمى فى الشئون الإقتصادية . إذ أن أجهزة الكمبيوتر الحديثة وتكنولوجيا الإتصالات والنقل تولد عنها إمكانات هائلة لما يطلق عليها أحياناً عوائد "ضغط الزمان والمكان Time Space Compression -.[1] كما أصبحت صناعات كثيرة غير مقيدة نسبياً بحدود مواقع الإنتاج ومصادر المواد الخام أو حتى القرب من الأسواق — إذا أصبحت القدرة على تشغيل الإنتاج وتوزيعه دولياً (من خلال التجارة الإلكترونية والإنترنت) إحدى النتائج الهامة والواضحة لذلك . مما أدى إلى ظهور ما يمكن أن نطلق عليه " الصناعات العالمية World industries " ، والقضاء على طغيان المسافة والحدود الجغرافية Tyranny of distance.

وقد أحدث ذلك إنقلاباً كبيراً فى العالم ، حيث تلاشت حدود المكان وفواصل الزمان ، وأصبح من الممكن لأى إنسان فى أى مكان وفى أى وقت ، أن يتعامل مع المشروعات والشركات فى أى مكان من العالم ، وأن يجرى معها معاملاته بيعاً وشراءً ، نقداً وآجلاً، وذلك من خلال شبكة الانترنت.

وقد ساعدت شبكة الإنترنت على زيادة الإحساس بالعولمة فى مجال عقد الصفقات ، وعلى إزدياد إعتماد رجال الاعمال عليها فى هذا المجال نظراً لما تتيحه لهم من بيانات ومعلومات ، فضلاً عن تزايد عدد العاملين

---

[1] بهاء شاهين : العولمة والتجارة الإلكترونية ، ص 32 – 33 .

عليها . وقد تزايد الاعتماد على شبكة الإنترنت واتسع ليشمل[1]:

1- مبيعات الأوراق المالية من الأسهم والسندات والصكوك والأوراق التجارية والمالية الأخرى.

2– مبيعات البحوث والدراسات والمعلومات من مراكز المعلومات المختلفة .

3 – العمليات البنكية والمصرفية المختلفة للعملاء وقبول ودائعهم وبطاقات الدفع الخاصة بهم .

ويتعامل مع الإنترنت ما يزيد عن (1000 مليون) فرد يومياً على مستوى العالم ومن المتوقع أن يتضاعف هذا العدد فى السنوات المقبلة ، وقد أسست شبكة الإنترنت اقتصاداً خاصاً بها ، يتصف بالنمو السريع الذى يبلغ معدله (174.5 ٪ سنوياً)، فقد بدأ هذا الاقتصاد بحجم لا يزيد عن(5 مليارات دولاراً عام 1995)، ويبلغ الآن ما يزيد عن(300 مليار دولار فى عام 1998).

والشروط التى يمليها " القطيع الإلكترونى " نمطية وإجبارية ، وهى:

1- الخصخصة لكل الشركات المملوكة للدولة .
2- تحرير التجارة الداخلية والخارجية .
3- رفع الحواجز الجمركية والحد من التضخم .
4- تقليص قدرة البيروقراطية الحكومية .
5- إلغاء كافة القيود على الاستثمارات الأجنبية .
6- تحرير أسواق المال .
7- حرية الأجانب فى التملك .

---

(1) محسن أحمد الخضيرى : العولمة مقدمة فى فكر وإقتصاد وإدارة عصر اللادولة ، ص 82 .

8- إلغاء الدعم .

9- تحرير نظام التأمين والمعاشات وترك المسئولية فى ذلك للأفراد.

10- النمطية فى نظام المحاسبة والمراجعة المالية الخاضعة للإشراف العولمى .

هذه المحاور العشرة ، اقتصادية واجتماعية ، إلا أنها تتعلق بسيطرة التكنولوجيا على ثقافة وحضارة الشعوب إذ أن الحياة بكل أبعادها تشكل بناءً متكاملاً ، وعلى أية حال فهذه السيطرة التكنولوجية ينتج عنها إنحلال خلقى وتفكك أسرى وعنف ، وتهرب من المسؤلية . بل من الحياة ذاتها بوسائل الانتحار المبتكرة حديثاً ، فهذه ظواهر واقعة فعلاً وتجتاح كثيراً من دول الغرب المتقدمة، وخير دليل على ذلك أن المفكرين الأمريكيين أنفسهم يقررون بأن " المجتمع الأمريكى متسمم بالتكنولوجيا Technologically Intoxicated Society " .

والحقيقة إن الدعوة لتدخل الحكومات فى حرية شبكة الإنترنت تنبع من دعاوى أخرى عديدة - غير الخوف من إنهيار الثقافة العلمانية الغربية وغزوها - مثل الخوف من تآكل سيادة الدولة وغير ذلك من الحجج والذرائع . إن تضيق الفجوة بين الأغنياء والفقراء ، ومبادئ العدالة الاجتماعية وحماية الضعفاء والمساواة فى الحقوق كلها ذرائع تتخذها بعض الحكومات للسيطرة على شبكة الإنترنت[1] .

وإن كنا نتكلم عن محاولة الحكومات للسيطرة على شبكة الإنترنت فإن ذلك ، يتعلق - من وجهة نظرى - بعملية إصدار قرارات سياسية تجاه هذا الموضوع ، ومن ثم فإننا إذن دخلنا فى مجال الحديث عن عولمة السياسة أو الجانب السياسى للعولمة ، فما هو إذن حقيقة هذا الجانب وما هى أبعاده ؟! ذلك ما ستحاول الصفحات القادمة الإجابة عنه.

---

[1] محمد الجوهرى حمد الجوهرى : العولمة والثقافة الإسلامية ، ص 39 .

ثانياً : العولمة السياسية :

على اعتبار أن أى مجتمع يمثل منظومة كبرى ، فإن هناك أهدافاً لهذه المنظومة هذه الأهداف تتشكل وتتبدل وتتطور طبقاً لطموحات وقدرات المجتمع ، وكذلك طبقاً للتحديات الخارجية الواقعة عليها ، إن عملية تحديد أهداف هذه المنظومة الكبرى (المجتمع والدولة) هى عملية سياسية . وبالتالى لا ينجح أمر ما فى أن يكون هدفاً على مستوى الدولة أو المجتمع دون قناعة وسعى ونضال النخبة السياسية[1]، وتؤثر العولمة على سيادة الدولة فيما يتعلق بتوفير الرفاهية، وقد أوضح تقرير تم إعداده لمجلس إدارة منظمة العمل الدولية، تأثير العولمة على الآليات والسياسات الداخلية للبلدان وعلى قدرة حكومتها على حماية سكانها بمختلف قطاعاتهم، وأكد أن القوى العاملة تواجه من جراء العولمة هجوماً ضارياً متزايداً من المنافسة ومعدلاً سريعاً من التغيرات التكنولوجية بموارد حكومية متناقصة فى أغلب الأحيان[2].

ومع تصاعد تيار العولمة بدأت تظهر إلى الوجود فكرة القرية الكونية ، تلك القرية التى تماثل القرى فى كل شئ ، ففى القرية تنسحب سلطة الدولة ، وتظهر سلطة الأفراد ، وتظهر بشدة وحدة القرية فى توجهها العام ، وبراعة تفوق أفرادها الفردى فى توجههم الخاص ، ومن ثم فإن عمومية العام لا تصطدم باحترام التوجه الخاص ، بل لا يوجد بينهما تنافر ، فالإمتزاج بينهما هو الذى يعطى للقرية الكونية شخصيتها ، ويعطى للعولمة طبيعتها ، ويعطى لهما مذاقاً ورونقاً خاصاً .

---

(1) محمد رؤوف حامد : الوطنية فى مواجهة العولمة ، سلسلة أقرأ ، (647) دار المعارف ، القاهرة ، 1999، ص 198 ، 199 .

(2) إبراهيم نافع : إنفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة ، ط 17 ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، 2002 ، ص137 .

ومن ثم فإن العولمة نجحت فى توظيف دور الدولة فيما يخدمها ويتجاوب مع منطقها الجديد ، ونجحت كذلك فى جعل نمطها المؤسساتى العالمى هو النمط السائد والمسيطر فى كل أنحاء العالم . إن حدوث ذلك يتم - من وجهة نظرى - عن تغير مهم فى وظيفة الدولة ، مهما كانت قوة هذه الدولة ، والعولمة على هذا هى سلاح ذو حدين ، فمهما كان الحد النافع لهذه العولمة ، فإن الحد الضار لها لابد وأن يبث سمومه فى أى وقت وبأى وسيلة كانت .

ويرى البعض أن العولمة تتحدى الدولة القومية لتفتح حدودها لنوع جديد من التنافس الحر . حيث تنطوى العولمة على تفتيت الحدود الوطنية ومن ثم إضعاف السلطة الوطنية وقدرتها على تطبيق القوانين الوطنية داخل تلك الحدود ، وعلى التحكم فى تدفقات وانسياب رؤوس الأموال. وكذلك تسعى العولمة إلى تحويل السلطة المنظمة من المستوى الوطنى إلى مؤسسة دولية ، وأبرز مثال على ذلك هو منظمة التجارة الدولية العالمية[1]. وبدلاً من أن تكون الدولة القومية فى القرن العشرين وعاء للحداثة أو مفاعلاً للتقدم ، تحولت إلى قيد على التحولات الإجتماعية الهادفة حيث تعمل كبنية إحتواء ضد التغيير أو كمثبط للمبادرات التقدمية.

ولعل تضاعف عدد القوميات الحقيقية من عشرات فى عام 1914 إلى ما يقرب من مائتين حالياً ينبغى قراءته باعتباره إحكاماً لنموذج فوق واقعى من محلية العولمة فضلاً عن كونه تصحيحاً للقهر التاريخى الذى مارسته شعوب تحيل تحررها إلى حكومات قومية واقعية . وكما يقول بودريار : " تتميز المحاكاة بضبط النموذج أو كل النماذج فى ضوء الحقيقة الأساسية ألا وهى أن النماذج تأتى أولاً والدوران

---

[1] عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 32 ، 33 .

الفلكى(كالقنبلة) يشكل المجال المغناطيسى الأصلى للأحداث "[1].

وهذا يفسر لنا، من وجهة نظرى، السعى الدءوب من قِبل الدول القومية مثل الدول القومية الخارجة من تحت سيطرة الإتحاد اليوغسلافى أو الإتحاد السوفيتى لإمتلاك الأسلحة النووية ، حيث يعتقد أن الأسلحة النووية التى تحول الدول إلى قوى عظمى لها دور خطير فى ملعب العالم السياسى .

إن الهيمنة الأمريكية والأوربية على الأمم المتحدة ومنظماتها وهيئاتها ومؤتمراتها تجلت فى حرب العراق الأولى والثانية والحرب فى يوغسلافيا ومحاصرة ليبيا والسودان والعراق وإيران ، والسكوت على حرب الإبادة التى تمارسها روسيا فى الشيشان ، والسكوت عن الإجرام اليهودى الذى تمارسه إسرائيل ضد الفلسطينين واللبنانين والسوريين ، هذا فى الوقت الذى سارعت فيه الأمم المتحدة بالعمل علىفصل أحد أقاليم اندونسيا ، والكيل بمكيالين فى أمور عديدة لا يقرها عقل أو منطق وخاصة الأمور التى تتعلق بدول العالم الإسلامى[1]. لقد أصبحت الأمم المتحدة ومنظماتها وهيئاتها ومؤتمراتها من العوامل الهامة فى تكريس العولمة ونشر مفاهيمها الثقافية والحضارية العلمانية والعمل على سيادة هذه المفاهيم وسيطرتها فى جميع أنحاء العالم على الثقافات والحضارات الأخرى.

ومن الواضح أن التطورات والإفرازات المجتمعية على المستويات المختلفة المحلية والوطنية والدولية تقود اليوم نحو بلورة نخبة عالمية سيكون بإمكانها "التحكم عن بعد" فى مجرى الأمور فى الدول الأقل قدرة على الصمود ومواجهة التحديات وسوف تتمكن من إحتكار السلطة

---

(1) Bdudrillard, j., Selected Writing, ed. Mark Poster, Stanford University, Press, 1988, p. 175 .

(2) محمد الجوهرى حمد الجوهرى : العولمة والثقافة الإسلامية ، ص 45 .

والثورة والنفوذ فى العالم وهذا سيجعلها أكثر كفاءة فى التأثير فى السياسات الحكومية ومواقف الأحزاب السياسية واستراتيجيات المؤسسات الدولية واتجاهات التحولات المجتمعية فى معظم أنحاء القرية الكونية[1].

لقد أصبحت السياسة فى عصر العولمة، متعددة المراكز، وأصبحت الدولة مجرد مستوى واحد فى نظام معقد من الوكالات المتشابكة، وغالباً، المتنافسة من الحكومات[2]. وذلك إنما يرجع إلى أن استقلال الدولة القومية فى العقود الأخيرة خضع للضغوط المتزايدة التى فرضتها على التوسعات الهائلة للمؤسسات العالمية، هذا بالإضافة إلى التأثير المتزايد للقانون الدولى، فقد زادت تأثيرات المؤسسات مثل الأمم المتحدة، وحلف الناتو، والبنك الدولى، والاتحاد الأوروبي، تلك التأثيرات التى حدت من عملية صنع القرار فى الدولة القومية.

وعن طريق إضعاف الدولة تتيح العولمة أساليب خفية للتعامل المباشر مع المنظمات الوطنية غير الحكومية كالجمعيات الأهلية دون علم الحكومة ، وغالباً ما تتحول هذه المنظمات غيرالحكومية إلى معبر للمنظمات العالمية غير الحكومية التى تتلقى مساعدات من وكالة التنمية الأمريكية والدول والهيئات . وفى ظل العولمة تعانى الدول ضغوطاً لتقديم تنازلات فى حق السيادة من خلال استخدام سلاح المعونة الإقتصادية ، أو التهديد بإثارة متاعب داخلية كالتلويح بورقة إضطهاد الأقليات الدينية والعرقيـة أو انتهاك حقوق الإنسان.

ومن ثم فإن الدول النامية فى زمن العولمة - من وجهة نظرى -

---

(1) أحمد حجازى : الثقافة العربية فى زمن العولمة ، ص 28 .

(2) Paul Hirst & Graham Thompson , Globalization and the future of the nation stste, London on 1995.

ليس لديها إلا طريقتان ، لا ثالث لهما ، تتبعه فى سياستها الداخلية ، وهما : إما أن تنصاع انصياعاً جبرياً لا خيار فيه لسياسات العولمة . وذلك من خلال اتباع الخسارة للطرف المغلوب على أمره أمام ظروف تقتضى التغيير الجذرى لسياسة الدولة القاصرة على التصدى للعولمة ، وإما من خلال فكر وطنى قومى يرتكز على حسٍ وطنى قوى ، وفى نفس الوقت يكون قادر على استيعاب الفكر العالمى الجديد ، وخير مثال على ذلك ما فعلته اليابان تلك الدولة التى بدأت معنا نهضتها مع الفارق الملموس للجميع.

ولم يكن الأمر ، ليصيب دول الشرق النامى ، دون دول الغرب المتقدمة حيث أن ممارسة الديموقراطية فى البلدان الغربية أصبحت مجرد طقوس ، فما من بديل ، على سبيل المثال ، سياسى يطرح على الناخبين ، ولم يعد لنتائج الاقتراع - كما هو الشأن فى دولة الحزب الواحد - أثر حقيقى على المسار الفعلى لسياسة الدولة الاقتصادية والاجتماعية. وبدورها أصبحت الدولة - فى ظل جدول الأعمال السياسى النيوليبرالى- متزايدة القمع لحقوق المواطنين الديمقراطية[1]. ولقد ثبت صدق هذا التحليل بدقة كبيرة فى مسار إعادة توحيد ألمانيا. فعندما غيرت الحركة الديمقراطية الألمانية الشرقية شعارها من "نحن الشعب" إلى "نحن شعب"، لم تتكون هذه الهوية القومية إلا باستبعاد "الغرباء"- بل ومحوهم إذا لزم الأمر- ممن كان معظمهم يتمتعون بمكانة الضيوف مدعوين من دول اشتراكية صديقة فى عهد الانفصال الدستورى الألمانى[2].

وعلى أية حال ، فإذا ما رجعنا إلى القوة المهيمنة الرئيسية (أمريكا)،

---

[1] عاطف السيد : العولمة فى الميزان الفكر ، ص 34 .

(2) Schmitt, Carl; The Crisis of Parliamentary Democracy, Translated by Ellen tennedy, Combridge, MA and London, 1988, p. 11.

سنجد أنها لازالت تميل إلى الأسلوب الفردى فى اتخاذ القرارات وتطبيق السياسات تجاه الموضوعات الدولية المختلفة . يضاف إلى ذلك الإسلوب الأمريكى فى تطبيق تشريعاتها الوطنية خارج الحدود Extra – Territoriality لصيانة مصالحها[1] . وهذا ما أثبته الواقع العملى ، حيث أن السياسة الأمريكية تعتمد على الإنتهازية التى تعبر عنها المعايير المزدوجة التى تطبقها متى شاءت مضحية بالديمقراطية وحقوق الإنسان إذا ما تعارضت مع مصالحها. أى أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تبدى إهتمامها بقضية الديمقراطية كرسالة أخلاقية عالمية. بل تتخذها وسيلة لتخفى غاية ألا وهى خدمة إستراتيجيتها ومصالحها العالمية[3] .

وعلى هذا ، وفقاً لتقديرى، فإن قوة ونفوذ الولايات المتحدة الأمريكية السياسية والعسكرية ، والتى لا تعادلهما قوة أخرى وخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتى . قد أهلها لتفوق لامثيل له فى الهيمنة والتأثير القهرى على جميع دول العالم. وأكثر العوامل التى تساعد أمريكا على استمرار الهيمنة على العالم ، هى المساعدات الإقتصادية والعسكرية والمساندة الاستراتيجية التى تقدمها الولايات المتحدة الأمريكية لدول العالم وخاصة دول العالم الثالث .

إن القوة الأمريكية - ليست القوة المادية فقط بل والقوة المعنوية أيضاً لأن القوة المادية صنعت قوة معنوية تخشاها الشعوب والحكومات والدول الآن - تعتبر من أهم وسائل العولمة لأنها جعلت من الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً أعلى تلهث الدول للحاق به فى مضمار التقدم التقنى والعلمى والحضارى[3] .

---

(1) أسامة المجدوب : العولمة والإقليمية ، مستقبل العالم العربى فى التجـارة الدوليـة ، الدار المصرية اللبنانية ، 2000، ص 28 .

(2) عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 59 .

(3) محمد الجوهرى حمد الجوهرى : العولمة والثقافة الإسلامية ، ص 46 .

وإذا كان الصراع فى القرن التاسع عشر، قد شهد حروباً عالمية بل ومحلية فى أعقاب كل جولة من جولات العولمة، بل وموجات من النزاع والصراع العالمى ، فإنه فى القرن العشرين - من وجهة نظرى - قد تغير شكل هذا الصراع ، حيث أصبح عبارة عن حملات من التطهير العرقى وسحق ملايين من أرواح البشر الأبرياء بدعوى تطهير العالم من التطرف والإرهاب، وكذلك الحال فى إصطناع الدول المسيطرة لأسباب تؤدى إلى هذه النزاعات والحروب الأهلية الموجودة فى كل مكان حولنا ، مثل الذى صنعته أمريكا فى أفغانستان والعراق .. وغيرها من دول العالم وخاصة العربية والإسلامية.

وهذا يجعلنا نقتنع بأن إقامة ديمقراطية جديدة ، سواء فى روسيا أم فى الصومال ، أم فى الأرض قاطبة ، لا تحتاج لأكثر من تصدير الدساتير سابقة التجهيز والأنظمة البرلمانية المصنوعة حسب الطلب . يقول جوشوا مورافتشيك Joshua Muravchik : إبعثوا بالأوراق الفيدرالية إلى روسيا البيضاء ، إرسلوا نظام التعددية الحزبية إلى نيجيريا بالطرود البريدية ، أرسلوا قانون الحقوق بالبريد الإلكترونى إلى الصين، إشحنوا إلى الأمم المتحدة قوة حفظ سلام يشرف عليها المدنيون، وكل من فيها من المتطوعين ، وتتسم بالطاعة ولكن ضميرها يقظ ، من بلد يتمتع بقدر كبير من تقبل الخسائر وليس له أية مصلحة خاصة به ... وعلى شعاع من الليزر أرسلوا الديمقراطية وفيما يتعلق بالحكم الكونى ، إفعلوا الشئ نفسه على المستوى الكونى "[1].

يؤكد البعض أن اليابان أدركت أنه ليس هناك طريق أمامها سوى المحاكاة المنهجية للغرب ، وأثبتت أنها أفضل التلاميذ [عندما أخذت

(1) Muravchik, J., Exporting Democracy: Fulfilling American's Destiny, Washington, D. c.: American Enterprise Institute Press, 1994, p. 175.

بالتصنيع وبتشكيل برلمان وفتح إمبراطورية] . لكن شراهتها قادتها للمواجهة فى 1941 مع العملاق الأمريكى الذى عارض إنشاء فضاءات مستقلة وحطمها - ومن ثم استبعدها - وفى 1945 سحقت اليابان التى أصبحت فى النهاية جد فقيرة ومعرضة للمعاناة . وأعاد فاتحها ومستعمرها بناءها وفق النموذج الغربى[1].

ومن ثم فإن الدولة بكل مؤسساتها السياسية ، من وجهة نظرى . لا تخدم فى نهاية المطاف إلا منطق الكبار، مادام أن هؤلاء هم الذين يحددون فلسفتها السياسية وتوجهاتها المستقبلية .

فيعانى الكثير من الدول النامية سوء الأوضاع الداخلية التى لا يؤهلها لمواجهة تحديات عصر العولمة، مما يتطلب الإسراع بإصلاح أجهزة الدولة وتطهير ما يكتنفها من فساد وفقاً لمشروع قومى للإصلاح يتميز برؤى مستقبلية واعية تنهض بأجهزة الدولة ومؤسساتها وتجعلها أكثر قدرة على مواكبة المتغيرات الجديدة فى إطار العولمة. فبعض الدول النامية مهددة بخطر انتقاص السيادة بنقل هذه الدول إلى كيانات دولية ولإقليمية أكبر منها، بالإضافة إلى خطر صراع الهُويات والحروب الأهلية التى تهدد بالنيل من السيادة وتفتيتها، وتمزيق الوحدة

الوطنية فى تلك الدول[2]. ورغم ظهور حركة عدم الانحياز التى ضمت الدول النامية ، فلقد أدى تفويض هذا النظام إلى إتاحة الفرصة لظهور قوى جديدة ولاعبين جدد على الساحة الدولية ، لم تسنح لهم الفرصة من قبل فى الظهور والتأثير بهذا القدر من الفاعلية ، وسعت هذه القوى بالتالى إلى تبوء مكانة دولية مرموقة ، سواء كدول منفردة أو كمجموعات تنسق مواقفها فيما بينها لتكتسب القدرة على حماية مصالحها[3].

---

(1) إبراهيم نافع : انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة ، ص 81 .

(2) عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 140 .

(3) أسامة المجدوب : العولمة والإقليمية ، ص 27 .

ورغم أن العولمة والقائمين عليها سواء فى الغرب الأوروبى أو فى الولايات المتحدة الأمريكية ، تبتكر الوسائل التى تساعدهم على الهيمنة والسيطرة السياسية ، فإن العولمة تمثل بالنسبة إلى كثير من الدول ذات الأنظمة الديكتاتورية مخاطر شديدة وتمثل للكثيرين من القادة فى دول العالم الثالث غياب الإمتيازات غير المشروعة أو الإستثنائية التى يحصلون عليها ، هم وذويهم .

إن العولمة فى جانبها السياسي تعمل على "تقليص احترام السيادة والحكم الذاتي للأفراد، وحقوق الإنسان، وتحد من مبدأ سيادة الدولة نفسها[1] فلم تعد السلطة الفردية للدولة القومية هى هدف العلاقات الدولية، بل أصبح الاهتمام بالمؤسسات العالمية هو الهدف، وذلك يؤثر على قدرة الحكومات على ضمان مصير ومستقبل مواطنيها. فالعولمة تقلص من دور الديمقراطية فى الدولة القومية.

ولقد لمسنا أن الهدف الأساسى من الهيمنة الغربية الأوروبية أو من الولايات المتحدة هو حماية مصالحهم الإقتصادية فى الخارج ، فما فعلته أمريكا فى أفغانستان ما هو إلا محاولة سيطرتها على بترول بحر قزوين، وكذلك الحال بالنسبة لتصريح بوش الأب، فى بدء حرب عاصفة الصحراء على العراق فى التسعينات من القرن العشرين بأن هذا هو بداية نظام عالمى جديد، ما هو إلا تحقيق مصالح أمريكية فى بحر الخليج .

وعند هذا الحد نجد أنفسنا نتطرق إلى مفهوم العولمة الإقتصادية، وهو ما سنحاول إيضاحه فى الصفحات القادمة.

---

(1) David Held, Democracy and the Global order from the Modern stste to como politan Governency Washington 1995, P.103.

ثالثاً: العولمة الاقتصادية :

يعتقد معظم الاقتصاديين أن العولمة فى جانبها الاقتصادي هى تنظيم حتمى للقواعد الخاصة بالتنافس العالمى، وقوانين عالم التجارة التى من المفترض أن تضمن أقصى درجة لتوزيع الموارد حول العالم. وهذه العملية تسير جنباً إلى جنب مع انسحاب الدول المنظمة من مجالات محددة مثل التخطيط، والإنتاج، والإصطلاح الإجتماعى، وإعادة تكييف اشتراكها فى مجالات أخرى، مثل إعادة التوزيع، والتنظيم، والوساطة، .. وغير ذلك. فالهدف هو تشجيع استراتيجيات النمو الإقتصادي الخاصة، والتى تعتمد على تعزيز المصالح الخاصة، وكل ذلك يساعد على تقويض شرعية الدول.

فى عصر العولمة تتحدث الدول جميعها . لغة الاقتصاد ، الذى أصبح جزءاً لا يتجزأ من الأمن القومى للدولة الحديثة ، ومع بداية القرن الحادى والعشرين أصبح التطور الدولى يتشكل بتفاعل عاملين أساسيين هما : الإتجاه نحو العولمة والإندماج فى النظام الإقتصادي الدولى من ناحية، وحرص الدولة على تقليص آثار العولمة الإقتصادية على رفاهية شعوبها من ناحية أخرى[1].

ولعل من أهم التطورات الإقتصادية التى يشهدها القرن الواحد والعشرون هى النزعة نحو المشروعات والإستثمارات والشركات والمنظمات العالمية ، فالشركات العالمية تساهم فى عولمة الطلب بتجميع الطلب محلياً وتشكيله على المستوى العالمى ، وتوجيه نفس المنتجات على المستوى العالمى ، وغير ذلك - كما أن الشركات العالمية تساهم فى عولمة العرض

---

(1) سمير محمد عبد العزيز : التكتلات الإقتصادية الإقليمية فى إطار العولمة ، الكوميسا – مجموعة 15– أوروبا الموحدة المشاركة الأوروبية الإفريقية المتوسطة ، مكتبة ومطابع الشعاع الفنية ، الإسكندرية ، 2001 ، ص 13 .

بدعم النظام الجديد لتقسيم العمل دولياً ، ودعم التبادل العريض للتكنولوجيا ، ودعم التخصص فى نظام المكونات ، ودعم السرعة الفائقة فى انتقال عوامل الإنتاج[1].

أما من حيث مساهمة الشركات العالمية فى عولمة الإستراتيجية، فلعل أهم مساهمتها فى ذلك دعم الشركات التابعة لبعضها فى تغطية الأسواق العالمية وفى طرح المنتجات الجديدة ، ودعم التحول من وقورات الحجم " Scale " إلى وقورات النطاق " Scope " ودعم تحول الأنشطة تبعاً للتكاليف والإمكانات من موقع إلى موقع عالمى آخر إلى غير ذلك[2].

فالإسراع الهائل - حسب تقديرى - بعمليات العولمة والدمج العالمى يتجلى فى مجال الاقتصاد، وكانت ا لأطراف القوية الكبرى فى تدويل الاقتصاد منذ السبعينات هى المصارف والشركات العالمية والدولية، وواكب تدويل الإنتاج والإستهلاك والتجارة العالمية التى لا تتوقف ليل نهار،والتطورات الثورية فى النقل والاتصالات والتكنولوجيا والنمو المكثف فى هجرة العمالة الدولية .

ويولى الإقتصاد العالمى إهتماماً موازياً لدفع النزعة الفردية. وسياستها الأولية هى سياسة دمج الهوية التى تقوم بدورها بتجنيد الشباب الناشطون الواقعيون بل والعابثون أيضاً لدمج الرأسمالية وثقافتها

---

(1) أحمد عرفه ، سمية شلبى ، العولمة والنظرية ض فى العربية ، نظرية دحر الفـراغ، الرسالة للطباعة طنطا ، بدون تاريخ ، ص 6 ، 7 .

(2) عبد العزيز الشربينى : الوجه الجديد للشركات العالمية ، أخبـار الإدارة ، المنظمـة العربية للتنمية الإداريـة ، العدد التاسع عشر ، يونيو 1997 ، ص 1 ، 2 .

العالمية[1] . ولم يكن نظام التجارة العالى قط " اقتصاديا "[2]، أى نظاماً متميزاً تحكمه قوانينه الخاصة. وبهذا المعنى فلقد كان مصطلح" الاقتصاد العالمي" دائماً تعبيراً مختزلاً عن ما هو فى الواقع نتاج للتفاعل المركب بين العلاقات الاقتصادية والسياسية ، تشكله وتعيد تشكيله صراعات القوى العظمى. والاقتصاد العالمي شديد الانفتاح. فهو يظهر حيثما تدعم قوة مهيمنة نظام التجارة، أى قوة لأسباب خاصة بمصالحها التى تدركها كانت مستعدة لقبول تكاليف تقديم العون للنظام ، فإذا كان دعاة العولمة على صواب فإن كل ذلك سينتهى.

وهذا الشكل الجديد من أشكال السيطرة الإقتصادية - شكل "الإستعمار السوقى " - يخضع الشعوب والحكومات من خلال الفعل الحيادى فى الظاهر لقوى السوق . فقد عهد الدائنون الدوليون والشركات متعددة الجنسية للبيروقراطية الدولية القائمة فى واشنطون بتنفيذ مخطط اقتصادى عالى يؤثر على معيشة (أكثر من 80 ٪) من سكان العالم . ولم يسبق فى أى وقت فى التاريخ أن لعبت السوق " الحرة " - التى تعمل من خلال أدوات الاقتصاد الكلى - مثل هذا الدور الهام فى تشكيل مصير دول " ذات سيادة "[3]. وستؤدى العولمة إلى تحسين آلية دخول الأسواق وانفتاحها بسبب تخفيض الرسوم الجمركية وإلغاء القيود غير

---

[1] بول هيرست وجرهام تومبسون : مُساءلة العولمة ، الإقتصاد الدولى وإمكانات التحكم، ترجمة إبراهيم فتحى ، المشروع القومى للترجمة (100) ، المجلس الأعلـــى للثقافـــة ، 1999 ، ص 23 .

[2] ميشيل تشوسودوفيسكى : عولمة الفقر، ترجمة محمد مستجير مصطفى ، كتاب سطور العاشر 2000 ، ص 31 .

[3] O'Neill, John, " Five Bodies: The Human Shape of Modern Society, Ithaca: Cornell University, Press, 1985, P, 131.

جمركية وبالتالى نمو السوق العالمية واتساع نطاقها وإزالة الحدود والحواجز بكافة أشكالها أمام إنتقال السلع والخدمات والمعلومات ورؤوس الأموال . وهذه الحواجز كانت تعطى للشركات والمنشآت فى كل دولة حرية الإختيار بين البقاء محلياً فى ظل حماية تضمن البقاء والإستمرار أو قبول التحدى ومواجهة المنافسة فى السوق العالمى من خلال التصدير [1].

لكن سقوط الحواجز بين الدول وتحرر الأسواق بفعل إتجاه العولمة سيؤدى إلى أن تصبح مواجهة المنافسة العالمية أمراً حتمياً . فالمنتجات الأجنبية سوف تدخل السوق لتسويق نفسها. وسوف تتبع أساليب ترويج متطورة وسوف تنفق أموالاً طائلة على ميزانية الترويج وذلك وفق خطط واستراتيجيات علمية وضعت بعد دراسات مستفيضة للسوق وللمستهلكين المحليين.

ويتضح مما سبق أن العولمة ليست موجة تلقائية وإنما هى - من وجهة نظرى - نظام محكم مخطط له بإحكام تشديد ودقة متناهية من قِبل القوى العظمى فى العالم وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وبريطانيا وغيرها من دول أوروبا المتقدمة ، وأيضاً فى دول آسيا مثل اليابان وغيرها، تلك الدول التى بلغت فى التقدم الصناعى تقدماً ملحوظاً ، فراح كل منها يبحث عن سوق ومستهلك، لا منتج ليروّج بضاعته فى النطاق الضعيف المستهلك. ومن هنا ظهرت المنافسة والسيطرة بل والهيمنة الكاملة على مثل هذه الأسواق لصالح الدول الإقتصادية والصناعية الكبرى.

إلا أن هناك عدداً من الدول يُطلق عيها الدول النامية المتقدمة ، وتضم عدداً من دول أمريكا اللاتينية وبعض الدول الآسيوية التى حققت

---

[1] محسن فتحى عبد الصبور : أسرار الترويج فى عصر العولمة ، مجموعة الدين العربية 2001، ص 147.

تقدماً إقتصادياً ملموساً، وإن لم يرق إلى الطفرات التى انجزتها مجموعة النمور الآسيوية. مضافاً إليها من أفريقيا كل من: مصر ونيجيريا وجنوب أفريقيا، حيث طبقت هذه الدول برامج طموحة للإصلاح الإقتصادى والتحول الهيكلى إلى إقتصاديات السوق ، طورت بموجبها سياسات الإقتصاد الكلى . وحررت بدرجات متفاوته كل من التجارة والإستثمار . مع الإحتفاظ بأسس سليمة للإقتصاد Sound Economic Fundamentals[1].

ومن المظاهر الإقتصادية للعولمة زيادة الإعتماد المتبادل بين الدول والإقتصاديات القومية من خلال عولمة عمليات الإنتاج والتسويق لكثير من الصناعات الحديثة ، ونمو حجم التجارة الدولية وتنوعها ، وإنتقال رؤوس الأموال عبر الحدود ، وزيادة عدد ونشاط الشركات متعدية الجنسيات . ويمكن ملاحظة هذه المظاهر فى عمل التكتلات الإقتصادية العالمية والمؤسسات التى تدير العولمة . ومن أبرز خصائص عولمة الإقتصاد ظاهرة إندماج الشركات والمصارف ، وقد يأخذ الإندماج صورة تملك الشركات والمصارف الأضعف نسبياً ، وهى التعبير العملى لتركز رأس المال والإنتاج فى ظل الرأسمالية المعاصرة.

ومن ثم فإن انتشار قوى السوق وسيادة آلياته لا تعرقلها أية قيود فى سعيها لزيادة انتشارها ، فهى حين تدخل منطقة أو حين تفتح لنفسها أسواقاً جديدة تنتشر بسرعة فائقة ، ومن ثم فالتجارة الدولية لا تعترف ولا تقف عند حدود ما، ولا تعترف أيضاً بحق أى دولة فيما كان متعارفاً عليه أنه حماية أو دعم أو حتى إجراءات وقائية.

---

[1] أسامة المجدوب : العولمة والإقليمية : ص 32 .

إن السوق العالمية قد أصبحت أكثر أهمية وقوة عن الدول والمجتمعات القومية فى تحديد الشئون الإقتصادية بل وحتى الشئون السياسية القومية . وإن السيادة القومية كانت تعنى سابقاً سيطرة الحكومات غير المحدودة على إقتصاداتها فى حين يتم حالياً تقرير الشئون الإقتصادية، عن طريق قوى السوق متعددة القوميات والشركات متعددة الجنسيات. وإن إزدياد التكامل الإقتصادى للمجتمعات القومية يضعف الإستقلال الإقتصادى، لأن[1]:

- احترام المنافسة التجارية والحاجة إلى تخفيض التكاليف يتطلب تقليصاً كبيراً فى حجم الرفاهة .
- القوة فى المجتمع تتحول من الدولة إلى المنشأة .
- اختيارات السياسة أصبحت محدودة أمام الحكومات لرغبتها فى جذب رأس المال الأجنبى وخشيتها من هروب رأس المال (بل أن البعض يقولون إن التمويل الدولى هو الذى يحكم العالم الآن) .
- تكامل الأسواق المالية أنقص من فاعلية سياسة الاقتصاد الكلى (المالية والنقدية) في إدارة الاقتصاد .

ومن ثم، يتطلب الأمر أن تدرس ثقافة وقيم واتجاهات ودوافع ورغبات، بل وسلوكيات تقسيمات متعددة لعملاء على نطاق عالمى؛ ليس هذا فقط، بل يتطلب الأمر أن تدرس وتحلل سلوكيات منافسين سواء كما تعكسها قراراتهم التى تصاغ فى مقر شركاتهم. أو فى الأسواق العالمية التى يتنافسون فيها، حيث أنه بصورة أو باخرى يظهر تأثير عولمة أسواق المال، فتحسين الأوضاع فى الأسواق العالمية على سبيل المثال، له أثره الإيجابى فى كل بورصات العالم ، وكذلك الحال إذا ما تدنى الأداء العام للبورصة الدولية فيظهر التأثير السيء هذا بتأثيره على السوق العام العالمى .

---

(1) إبراهيم نافع : انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة ، ص 130 .

ولهذا السبب عمدت البنوك والمؤسسات إلى تفعيل دور إدارات البحوث والتطوير والإبتكار للوصول إلى أنظمة حماية إرتقائية ، قائمة على التحوط والإحتياط الوقائى، وعلى توفير البدائل والخيارات، وعلى استخدام الأدوات التمويلية ذات الطابع الجماعى من أجل إمتصاص الصدمات. وإستيعاب حالات المد والجذر الناجمة عن حركة التدفقات النقدية والتمويلية عبر الحدود الدولية، وما بين مراكز وأسواق التمويل الدولية بعضها البعض[1]. ولقد أصبح الإقتصاد الحر هو المسيطر على النشاط الإقتصادى فى العالم الذى أطلق عليه كثير من المفكرين الأمريكين اسم (ماك وورلد) Mac World، نسبة إلى محلات (ماكدونالد) الشهيرة التى تنتشر فى كافة الدول وفى كل مكان بصرف النظر عن الإختلافات السياسية و لفارقات الاجتماعية. ومن الواضح أن هذه التسمية تحمل فى طياتها نقداً طريفاً؛ وهو أن الاقتصاد الحر أو الرأسمالية التى لا تتقيد بارتباطات اجتماعية، لا تطيق فكرة القيود والحواجز، حيث تكرهها الرأسمالية كراهية واضحة[2].

ولقد مر النظام الرأسمالى بمراحل وتطورات نحو هدفين ظلا كثوابت استراتيجية ، وإن تغيرت آليات تدعيم النظام وتجديده حسب المتغيرات الداخلية والخارجية ؛ وهما[3]:

1)- لقد تركز الهدف الأول على التجديد والتطوير والإبداع فى داخل

---

(1) محسن أحمد الخضيرى : العولمة الإجتياحية ، ص 302 .

(2) حسين كامل بهاء الدين : التعليم والمستقبل ، ص 48 ، 49 .

(3) عبد الباسط عبد المعطى : التبعية الثقافية فى الوطن العربى ، " فى الآليات والمجالات والتفسير " فى ندوة الثقافة العربية ، الواقع وآفاق المستقبل ، الدوحة ، 12 – 15 ابريل1993 م ، ص 211

النظام الرأسمالى ذاته بهدف تحقيق نمط نموذجى بالقوة الإقتصادية والعسكرية والحضارية والسياسية يتميز بها عن أى نظم أخرى يمكن أن تنافسه .

2)- ويتمثل الهدف الثانى فى دعم الهيمنة الخارجية من أجل تحقيق الهدف الأول أيضاً ، ومن هنا إرتبط تراكم التقدم فى النظام الرأسمالى (المركز) بتراكم التخلف فى الدول الأخرى التقليدية (التوابع أو المحيطات) بلغة أصحاب مدرسة التبعية .

إلا أنه من نقائض العولمة، أن للنجاح فى الاقتصاد الدولى مصادره القومية، فإذا كانت مصادر نجاح تايوان لا تثير الدهشة فإنها تدعو إلى التروى فى بلاد مثل المملكة المتحدة تمارس سياسات " دعه يعمل " الليبرالية إلى حد الإفراط، وترفض حكومتها كلا من الاستثمار العام والتضامن الاجتماعى. فإذا كانت تايوان تستطيع النمو بواسطة تعبئة موارد الاستثمار فإن المملكة المتحدة تستطيع الانحدار بانصرافها عن ذلك.

إن الواقع يفترض ويفرض تيار العولمة بقوة ، ويعيد هيكلة الكون ، ويجعل الجميع يتجه إلى ضرورة إعادة النظر فى توجهاته : الإنتاجية ، والتسويقية ، والتمويلية ، وكوادره البشرية ... لتصبح قادرة على الفعل فى تيار العولمة الذى يقود العالم الآن ، ويحوله إلى منظومة كونية متفاعلة ، تجتاحها وتتفاعل معها ملايين المتغيرات والمستجدات الكثيفة ، القائمة على الإستهلاك الواسع المدى ، وطبقاً لإتفاقية الجات سيتحول العالم إلى سوق كبيرة مفتوحة تغذى إحتكارات الدول المتقدمة للحصول على أكبر عائد على حساب الدول النامية ، فإتفاقية الجات تفتح أسواق الدول النامية أمام صادرات الدول الغنية بما يسمح لها بالقضاء على القاعدة الصناعية لهذه الدول من خلال المنافسة غير العادلة.

ومن ثم فإن سياسات السوق فى زمن العولمة ، لا يسمح لسياسات السوق فى الدول النامية - من وجهة نظرى - إلا بالدخول بنطاق محدود

فى عملية التنافس الاقتصادى الدولى ، بل إنها تفرض هذه الدول النامية تبعية طويلة المدى ، وفى المقابل تجد أن القائمين على نظام وضع سياسات سوق العولمة ، يحاولون جاهدين . للحد من أى محاولة وطنية، قومية فى إطار الدول النامية لتطوير أو تنمية أية مقودات وطنية أو إبداع مقومات للاقتصاد والسوق المحلى فى هذه الدول (النامية) .

ويمكن ملاحظة عملية موازية فى أوروبا الغربية . فمع معاهدة ماستريشت أخذت عملية إعادة الهيكلة السياسية فى الاتحاد الأوروبى تراعى بصورة متزايدة المصالح المالية السائدة على حساب وحدة المجتمعات الأوروبية . وفى هذا النظام كرست سلطة الدولة عمداً تقدم الاحتكارات الخاصة : فرأس المال الكبير يدمر رأس المال الصغير فى كل أشكاله ، ومع الاندفاع نحو تكوين كتل اقتصادية فى كل من أوروبا وأمريكا الشمالية إستؤصل المنظم الإقليمى المحلى ، وحولت حياة المدن، وأكتسحت الملكية الفردية الصغيرة . وتوفر " التجارة الحرة " والتكامل الاقتصادي قدرة أكبر للمنشأة العالمية فى ذات الوقت الذى تكبح فيه (عن طريق الحواجز غير الجمركية والمؤسسية) حركة رأس المال المحلى الصغير. وإذا كان " التكامل الاقتصادي " (تحت سيطرة المنشأة العالمية) يعطى مظهر الوحدة السياسية فإنه كثيراً ما يشجع التكتلية والشقاق الاجتماعى فيما بين المجتمعات الوطنية وداخلها[1] .

ولقد أسقط الإتحاد الأوروبى (تكون عام 1959 ويتكون من 12 دولة أوروبية) معظم قيود التجارة بين دوله، مما فتح آفاقاً واسعة لتقدم إقتصادى كبير خلال العقدين القادمين . وبدأت شركات متعددة الجنسية تنشئ فروعاً لمصانعها ومكاتبها هناك لتعامل معاملة الشركات الأوروبية ضمن هذا الإتحاد من حيث القدرة على أن تتعامل تجارياً وبحرياً مع أسواق دول الإتحاد وتتجنب ما يفرض من قيود كمية أو جمركية على صادراتها لهذه الأسواق[2] . وحتى تعامل الشركة معاملة

---

(1) ميشيل تشوسودوفيسكى، عولمة الفقر، ص 313-314.

(2) أحمد سيد مصطفى : تحديات العولمة والتخطيط الإستراتيجى ، ص 18 .

الشركة الأوروبية ، يجب أن تصنع الأجزاء الرئيسية لمنتجها فى نطاق دول الإتحاد الأوروبى . فعلى سبيل المثال إشترت شركة " ويرلبول Whirlpool " الأمريكية شركة فيليبس الأوروبية للأجهزة المنزلية الكهربائية حتى تتأهل كشركة ضمن الإتحاد.

وقد حقق الإستثمار الأجنبى المباشر نمواً فى النصف الثانى من الثمانينات يماثل أربعة أضعاف معدل نمو الناتج العالمى ، وثلاثة أضعاف معدل نمو التجارة الدولية ، بينما سيطرت المؤسسات متعددة الجنسيات . ذات الموطن الأم فى مثلث الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبى واليابان على 80 ٪ من هذه الإستثمارات وبنهاية العقد بلغ حجم الإستثمارات المملوكة لهذه المؤسسات حوالى 2 تريلليون دولار وهو ما يماثل قرابة خمسة أضعاف قيمتها فى 1979 . أما على صعيد التجارة فلقد تحققت أكبر زيادة فى التفقات التجارية بين الدول المتقدمة بنسبة 80 ٪ بين دول مجموعة السبعة[1] .

وتشير الإحصاءات إلى أنه بعد خمس سنوات من تنفيذ اتفاقية المنسوجات لم يتجاوز نمو نصيب الدول النامية فى تجارة النسيج العالمية 4.3 ٪ ، فى حين زادت صادرات الدول الصناعية بمعدل نمو سنوى بلغ9٪

وتعد ظاهرة العولمة أكثر الظواهر إلتصاقاً بالنشاط الإقتصادى بصفة عامة والنشاط المصرفى بشكل خاص ، وعلى الرغم من أن العولمة كظاهرة إنسانية ، لها جوانبها السياسية ، والاجتماعية المتنوعة ، فإنها مصرفياً قد اتخذت أبعاداً ومضاميناً جديدة ، جعلت البنوك تتجه إلى ميادين وأنشطة غير مسبوقة ، وأدت إلى إنتقالها من مواقف وتصورات نشاطية ضيقة ، إلى أنشطة وتصورات واسعة ممتدة من أجل[2] :

---

(1) عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 114 .

(2) محسن أحمد الخضيرى : العولمة الإجتياحية ، ص 254 .

أ)- تعظيم الفرص .   ب)- زيادة المكسب .

ج)- تدعيم الثقة بجوانبها الحاضرة فى الوعى الحاضر وكذا بآفاقها الواعدة إليها فى المستقبل .

على أية حال، فإنه مهما بلغت سطوة الدول المتقدمة ، وفى صدارتها الولايات المتحدة ، ومهما ووصل إليه تحكمها فى آليات الاقتصاد العالمي ، فإنها - من وجهة نظري- ليست مطلقة اليدين تماماً. فالتنافر بين الدول الغنية وتضارب المصالح بينها، بل وتنافر المصالح داخلها ، ومقاومة البلدان النامية لخططات البلدان الغنية ، بل ومقاومة قطاعات واسعة من أبناء البلدان المتقدمة نفسها لأسباب عقدية ومصلحية وإنسانية . كل ذلك يضع قيوداً على عمليات العولمة الاقتصادية. ويجعل مسارها متعرجاً بدرجة ما.

يضاف إلى ذلك أن معظم التنبؤات البحثية تكاد تجمع على أن قضية الفقر ستظل تمثل أحد أهم التحديات الفعلية، خاصة فى عصر العولمة الراهن. وفى ظل آليات تدويل الاقتصاد إنتاجاً وتوزيعاً واستهلاكاً. تلك التحديات التى يتعين على دول العالم مواجهتها، خاصة فى الجزء الجنوبى من العالم[1]، فلقد أصبح واضحاً أن ظاهرة الفقر والتفاوت المعيشى منتشرة بصورة ملحوظة ومقلقة مما يشكل تهديداً مستمراً لبنية هذه الدول، بل وأصبح يشكل تهديداً فعلياً للأغنياء فى دول العالم المتقدم ذاته. لقد تبين فى الواقع أن النمو الاقتصادي وجهود التنمية التى بذلت فى السنوات الأخيرة فى المجتمعات غير الرأسمالية لم تؤد إلى نتائج ملموسة فى الحد من دوامة الفقر، أو تخفيض أعداد الفقراء أو سد الإحتياجات الأساسية للايين من البشر الذين يعيشون

---

(1) friedman, Jonathan, Cultural Identity & Global Process, p. 159.

الحرمان البشرى أو تحت ما يسمى بخط الفقر [1] .

ومن المهم التسليم بأن التجارة والإستثمار الأجنبيين مرتبطان بفعل عوامل اقتصادية أساسية تتراءى فى حساب الدخل القومى . وبحكم التعريف ، فإنه فى أى فترة زمنية ينبغى أن يتساوى رصيد الأمة فى " حسابها الجارى " - الذى يشمل كلاً من التجارة ومدفوعات التحويلات الخارجية المختلفة - مع رصيدها فى " حساب رأس المال " - التدفق الصافى للأصول إلى البلد ومنه - ولا يتراءى التطابق المحاسبى بين الحساب الجارى وحساب رأس المال بصورة تامة فى الإحصاءات الحكومية ، التى تبين عادة وجود فرق بين الاثنين . ومع ذلك ، فإن الحساب الجارى وحساب رأس المال يتحركان بالترادف تقريباً .

يتضح من كل ما سبق أن العولمة لم تترك جانباً إلا وتعرضت له ، وعرضت أبعاده المحلية ، بل وحاولت تدميرد محلياً ليكون سوقاً لها عالمياً، ومن ثم فإن لعولمة الإقتصاد آثار سلبية على قيم وسلوكيات الفرد بل والمجتمع، فما هى حقيقة الآثار الاجتماعية للعولمة ؟ فهل هى سلبية على طول الخط أم لها آثار إيجابية على سلوكيات الفرد والجماعة ؟

---

[1] Ibid, p. 161.

رابعـــاً : العولـة الاجتماعيـة:

لقد ساعدت العولمة والأسئلة التى تطرح حول دور الدولة فى إعادة توزيع الموارد، بالإضافة إلى تقلص دورها فى كثير من جهات المسئولية الاجتماعية والسياسية، ساعد كل ذلك على تأكيد ظهور ممثلين جدد تسمع أصواتهم لأول مرة، فهم يتحركون ويجتمعون للمطالبة بحقوق جديدة مثل حقوق المشردين، والشباب، والكبار ، وذوى الاحتياجات الخاصة، وحقوق تنفس هواء نظيف، وشرب ماء نقى، وتناول طعام غير ملوث بالمبيدات. ففى بعض مدن أمريكا الشمالية، نظم العمال الذين يغسلون زجاج السيارات جماعات للدفاع عن حقوقهم ضد ما يتقاضونه من المال القليل. وقد ساعدت مثل هذه المطالبة على تحديث الكثير من البنود فى البيان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948 .. ومن هذه المطالب أيضاً، الحق فى حياة صحية بدون الهندسة الوراثية. والحق فى العيش فى بيئة نظيفة تعكس التقدم العلمي والتكنولوجة. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : من ذا الذي له الحق فى السيطرة على فوائد العلم والتكنولوجيا ؟ ومن يقرر كيفية استخدامها؟ ولخدمة أية أهداف ؟ ولمصلحة من ؟

إن العولمة- كمفهوم - تشير إلى ضغط العالم وتصغيره وتركيز الوعى به ككل على المستوى الحضارى والمجتمعى والإقليمى والفردى، فقد اتجهت القوى الاجتماعية من تجمعات أسرية وقبلية إلى تجمعات قومية ودولية . ومن ثم فقد أحدث تيار العولمة مرحلة عدم استقرار اجتماعى واسع، ومن مظاهره انتشار بعض أنماط السلوك الإجتماعى الغربى [1] .

وتزعم العولمة أنها تحترم مبدأ الحقوق الطبيعية للفرد وتنهى

---

[1] عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 60 .

عصر القمع ، فمثل هذه الأمور تعد من الأهداف الرئيسة الظاهرة للعولمة، وقد أصبحت تتمتع بحماية دولية ومحلية .

إن وثيقة مؤتمر الأمم المتحدة عن السكان والتنمية - الذى عقد فى القاهرة فى سبتمبر 1994 - يمكن أن تقرأ على أنها انعكاس وتعبير مباشر عن مغزى العولمة و " حضارة السوق " ، دع كل شئ لقوى السوق وخلص الأفراد ، ذكوراً وإناثاً ، من قيود التقاليد والدين ، واتركهم " أحراراً " ليقعوا " باختيارهم " فى قيود نظام السوق . وكذلك دع المرأة تخرج من سجن العرف والتقاليد لتدخل سجن السوق " بمطلق الحرية " ، ودع الأولاد والبنات يمارسون الجنس منذ العاشرة ، وأياً كان نوع هذه الممارسة طبيعياً أو غير طبيعي ، أخلاقياً أو غير أخلاقى، فهم فرائس سهلة لقوى السوق لتعظم الأرباح[1] .

وهذا الهدف من أهم أهداف العولمة الغربية، فالفرد حين يكون متحرراً من قيود الأسرة والدين والوطن بل والأخلاق عامة ، يكون فى ذلك الوقت فريسة سهلة المنال لقوى السوق وغيرها من القوى الأخرى!

عندما تتجرد المجتمعات من ذاتيتها ، تصبح مؤهلة لاكتساب هوية جديدة هوية أكثر إتساعاً ، وأوسع مدى ، وأكثر قبولاً عن الشخصية السابقة ، حيث أن المجتمعات فى ظل العولمة ، أو عولمة المجتمع هى إسلاب وعى البشرية وإرادتها لصالح قوى عظمى مهيمنة على الوعى ، طوفان من المعقول واللامعقول ، أو من السلوكيات والتصرفات الغربية الجديدة التى أصبحت بحكم انتشارها معتادة ، بل وفى بعض الأحيان والبلدان، مألوفة.

لكن فى ظل هذه الصورة بين البيانات التاريخية والانثروبولوجية

---

[1] جلال أمين : العولمة ، ص 140 - 141 بتصرف.

أن هناك سبلاً شتى لبناء الوجود الاجتماعى ، وبالتالى فهناك تراكيب عديدة للنظام الكونى . وهذا التنوع لا يمثل مشكلات كبرى طالما أن التواصل بين المجتمعات مقيد والتنوع الداخلى محدود . وعندما تحدث فإن المجتمعات القديمة تحل هاتين المشكلتين بتأكيد الحدود بين الجماعات الاجتماعية . كما أن الإنتماء لجماعة مجتمعية ما معناه اتباع دين تلك الجماعة . وفى المجتمعات القديمة الأكثر تعقيداً أو المنقسمة إلى جماعات مكانة طبقية ، كان الانتماء الدينى والانتماء لجماعة اجتماعية لايزال متطابقاً فى الغالب ، إلا أن جماعات المكانة السائدة كانت تحاول عادة أن تجعل دينها مميزاً للمجتمع كله وعلى شكل علم يجعل قواعدها الأخلاقية هى المقياس الافتراضي لكل السلوكيات ، وذلك سعياً وراء التعبير عن سيطرتها على تنوع اجتماعى أكبر[1]. وكان الإنتماء للجماعة ومعاييرها المحددة لايزال يرتبط بالنظام الكونى، إلا أن هذا الارتباط يقال إنه ذو صلة بتنوع أكبر من عوالم الحياة الحقيقية. وقد نجمت عن ذلك ضغوط التجريد ، وعولمة القواعد الأخلاقية أفرزت بدورها كونيات أكثر توحداً وهرمية أولاً على هيئة هياكل، هرمية تحتل الآلهة الخيرة مكان القمة فيها ، ثم على شكل رؤى توحيدية أو شبه توحيدية . وكانت هذه الرؤى إما ترابط بين الخير أخلاقياً والمتسامي كما فى الأديان الإبراهيمية (اليهودية والمسيحية والإسلام) ، أى الدين ذو الطبيعة الأخلاقية البحتة، أو تفترض نطاقا فوق أخلاقى يتجاوز الخير والشر كما فى ديانات التاو أو البرهمية أو النيرفانا[2] .

إن أزمة المجتمع الرأسمالى فى إطار العولمة أزمة حقيقية . ويرى "

---

(1) Esposito. Johnl, Islam and Politics, Syracuse University 1987, p. 114.

(2) Stark, Rodney and Bainbridge, William Sims; A theory of Religion. New York 1987, p. 114.

ليستر ثورو " فى كتابه " مستقبل الرأسمالية Future of Capitalism " : " إن طبقة البروليتاريا ليس لها أهمية كبيرة ، فهى فى رأيه لا تشكل خطر القيام بثورة ، وهم فى الولايات المتحدة على أية حال من الفقر بحيث لا يشاركون حتى فى التصويت "[1] . ومن ثم نجد البعض يتحدث عن العولمة من منظور الصراع الطبقى .. ويقولون إن الصراع الطبقى بين من يملكون ومن لا يملكون انعكس على الدول فيما بعد العولمة ، بين غنيها وفقيرها ، شمالها وجنوبها ، من يملكون أسباب القوة الإقتصادية والمحرومين منها ، من تتوافر لهم أسباب الوفرة والإزدهار والمحرومين من كل هذا . لهذا فإن الصراع الطبقى الدولى فى رأى هؤلاء سيقضى على هذا النوع من العولمة الذى يقسم العالم إلى أغنياء وفقراء وصولاً لعالم موحد يتحقق فيه قدر كبير من المساواة، ليس بين الناس فقط ، وإنما أساساً بين الدول[2] .

ومن الواضح أن الآثار الاجتماعية للعولمة، مرتبطة من وجهة نظرى بما حدث من تغيير فى هياكل الإقتصاد العالمى، فالطرق التى أجبرت بها المؤسسات المالية وعلى رأسها صندوق النقد الدولى والبنك الدولى. العالم الثالث، منذ عام 1989 على تسهيل هذه التغييرات، يكشف عن آثار نظام مالى جديد يتغذى على الفقر الإنسانى وتدمير البيئة،ويولد الفصل الاجتماعى ويشجع العنصرية والنزعات العرقية، ويقوض حقوق المرأة .. وهذا كله يؤدى من وجهة نظرى إلى تفكك اجتماعى وفوضى اجتماعية محلية وعالمية .

ولقد تصاعدت فى السنوات الأخيرة خطورة التفاوت الصارخ بين

---

[1] حسين كامل بهاء الدين : الوطنية فى عالم بلا هوية ، ص 166 .

[2] إبراهيم نافع : إنفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة ، ص 51 .

البشر ، بين الأغنياء والفقراء ، ونجم عنها إشتداد التوتر والقلق ، وتصاعد العنف والإرهاب ، والجريمة المنظمة .. وقد أدى هذا إلى نمو الجريمة لتصبح أكثر الأنشطة الإقتصادية ربحية حيث يصل صافى ربحها إلى ما يزيد عن 500 مليار دولار سنوياً .. وأصبحت هذه الجرائم من القوة ومن النفوذ إلى الدرجة التى لم يعد بالإمكان معرفة ما إذا كان هذا الجهاز أو ذاك من أجهزة الدولة يكافح من أجل فرض القانون ، أم أنه يحارب ضد القانون بتكليف من المجرمين أنفسهم[1] .

ذلك أن تلك الحقبة من تاريخ المجتمع الدولى المعاصر التى يطلق عليها الآن " عصر العولمة " ، أو النظام العالمى الجديد قد أنعكس أثرها فى مجال الجريمة المنظمة والجماعية بشكل ملحوظ واتسمت الجرائم الدولية بالخطورة الإجرامية نظراً لإسلوب إرتكابها الذى يتميز بالتنظيم والتكنولوجيا من خلال استخدام أساليب التكنولوجيا الحديثة والحاسبات والإنترنت والإتصال المباشر والسريع عبر الأقمار الصناعية ، وهى أساليب حديثة يصعب معها السيطرة أو الكشف عنها بسهولة[2] . ولعل أخطر جرائم العولمة تهريب المخدرات والإتجار فيها وتهريب الأسلحة والمتفجرات وغسيل الأموال المتحصلة من جرائم، وهروب المطلوبين للمحاكمة إلى خارج حدود الدول بعد إرتكاب جرائمهم،وتهريب الأموال، وجرائم الفساد الحكومى والإدارى والصفقات السرية المشبوهة والدولية ، وتصدير الأغذية الفاسدة والمواد المشعة وهى جميعها جرائم عابرة للقارات تقوم بها عصابات منظمة ويقودها شخصيات بارزة[3] .

---

(1) محسن أحمد الخضيرى : العولمة فى فكر وإقتصاد وإدارة عصر العولمة ، ص 32.

(2) محمد فهيم درويش : الجريمة فى عصر العولمة [وملف لأهم الظــواهر الإجراميــة وأشهر المحاكمات في مصر] النسر الذهبى للطباعة ، 2000 ، ص 38.

(3) نفس المرجع ، ص 39 .

والجريمة ظاهرة اجتماعية ، حيث أنها - من وجهة نظرى ، تؤرق المجتمع وتهدد استقراره، كما انها تحمّل الدولة خسائر فادحة..وأرى أن استئصال الأسباب التى تؤدى إلى الجريمة وتقود الفرد إلى الإجرام، أهم من القبض على الجناة بعد وقوع الجريمة .

ومن أهم الأسباب التى تؤدى إلى الجريمة - وأيضاً للعنف والتطرف والأرهاب - حالة الإغتراب والضياع التى يحس - فى إطارها - بعض الناس بالحاجة إلى الهروب ، طلباً للماضى فى صورة التطرف الدينى ، أو ما يقومون بالهرب إلى الخيالات فى صورة الإدمان أو بالهجرة من أوطانهم هرباً أو يأساً ، أو بالتخلص من الحياة ذاتها . " فهى هجرة زمانية نتيجة غربة مكانية " وإحساس بالعجز تجاه مجتمع لم يتفهموه أو فساد لم يطيقوه وتجاه ظروف لم يستطيعوا التغلب عليها.[1]

كذلك تراجع دور العملية الثقافية - الاجتماعية ، وخاصة فى المجتمعات التقليدية والنامية ، تلك العملية التى كانت الأكثر عراقة وتأثيراً فى تطور وإدارة هذه المجتمعات ، وذلك بسبب الإختراق الكاسح للعمليات الإقتصادية والإعلامية والثقافية[2] : لقد بات واضحاً أن الإختراق الثقافى - خاصة فى ظل العولمة بآلياتها المعاصرة - يعمل على تهديد منظومة القيم الأصيلة ويشكل نوعاً من الإزدواجية الثقافية التى تجتمع فيها تناقضات الأصالة والمعاصرة مما يؤدى إلى تهميش أو تغيير ملامح الثقافة الوطنية.

ففى ظل المتغييرات العصرية المفروضة على الإنسان فى زمن العولمة ، فالإغتراب والفردية والمادية والإستهلاك الترفى هى سمات سائدة فى مجتمعات عصر العولمة ، وخاصة فى مجتمعاتنا العربية من وجهة

---

(1) حسين كامل بهاء الدين : التعليم والمستقبل ، ص 54 ، 55 .

(2) أحمد مجدى حجازى : الثقافة العربية فى زمن العولمة ، ص 27 .

نظرى ، حيث تحولت الثقافة العربية إلى ثقافة من نوع جديد ربما تقترب من المفهوم الذى قدمه كارل بولاتى فى كتابه المعنون [التحول الكبير] بحضارة السوق حيث يصبح كل شئ خاضعاً لشروط ولنظام السوق " حتى روح الإنسان نفسه "[1] .

ومن ثم لقد كان للتغيرات الاجتماعية التى حدثت فى الربع قرن الماضى آثارها السلبية على المجتمعات ، حيث ظهرت فلسفات متباينة من الفكر المتطرف والمتعصب الذى يشكل خللاً بالقيم والمثل العليا التى يقوم عليها المجتمع والتى تعارف عليها الناس وجرت عليهم عاداتهم وتقاليدهم، حتى غدت تشكل صراعات تؤرق المجتمع وذلك لتناقضها مع القيم الإنسانية والدينية ، وتؤدى إلى إنهيار تلك القيم بل إنهيار المجتمع نفسه .

ولقد بدأت بعض السلوكيات الغربية ، فى السنوات الأخيرة ، تأخذ طابعاً عالمياً يتجاوز الحدود الجغرافية مما يؤثر سلباً فى المجتمعات الوطنية وفى تماسكها وتقاليدها . ومن ثم فالعولمة تتطلب قدراً كبيراً من المشاركة الأهلية غير الحكومية ، وهو ما يؤدى إلى حدوث صدام مع تقاليد بعض الدول النامية فى رعاية الدولة شبه الكاملة للمواطنين . وتتطلب العولمة - كذلك - إستعداداً فردياً متميزاً للمبادرة وتحمل المخاطر ، وهو كثير ما يتعارض مع أسس التنشئة الاجتماعية لبعض دول العالم الثالث وبخاصة الدول العربية ، التى تجعل الفرد جزءاً من كل [2] .

وفى إطار العولمة تجد الدولة نفسها مضطرة إلى تقليص برامج الرعاية الاجتماعية وبخاصة دعم غير القادرين وإلغاء التأمين على الطبقة الدنيا والأفراد الأكثر تعرضاً للمخاطر مما ينجم عنه تخلخل النسيج

---

(1) انظر فى ذلك : جلال أمين : ماذا حدث للمصريين ؟ تطور المجتمع المصرى فى نصف قرن 1945 – 1995 ، 1998 ، ص 281.

(2) عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر ، ص 60 61 .

الاجتماعى . لقد عملت العولمة على الإحاطة بالمؤسسات التى تقوم فى العقود الماضية بحماية التوازن الاجتماعى الذى كانت تتولاه الدولة وقد أدى ذلك إلى البطالة وتهميش المجتمعات.

ومن ثم فإن العولمة تؤصل فكرة ارتباط الإنسان ، لا بالدولة القومية والمجتمع الوطنى ، بل بالعالم أجمع ، إنها تدفع الإنسان إلى الخروج والإنطلاق ، بل الإفلات من فكرة " المكان الضيق المحدود ، بل الإفلات من فكرة " المجتمع والوطن " إلى آفاق " العالم الكونى " .. وتكتسب بذلك علاقاته ومعاملاته مفهوم مختلف اختلافاً جذرياً عما هو معتاد قبل الدخول فى عملية العولمة حيث يمكن تسميتها - أى العلاقات الاجتماعية فى المجتمع العالمى - بأنها عملية إستيراد قيم وأخلاقيات الدول المسيطرة المتمثلة فى أمريكا ودول أوروبا .

ونخلص مما سبق إلى أن العولمة تعمل على سحق الهوية والشخصية الوطنية وإعادة تشكيلها فى قالب هوية وشخصية عالمية يفقد فيها الفرد جذوره ويتخلى عن ولائه وانتمائه .

المبحث الثالث

نتائــج الدراســة

بعد أن استعرضت كل جوانب موضوع الدراسة — من وجهة نظرى- فعلي الآن أن استخلص نتائجه من خلال الإجابة على الأسئلة التى طرحتها فى مقدمة هذه الدراسة، : وللإجابة عليها أطرح النقاط التالية :

- بينت الدراسة كيف أن الدين الإسلامي لم يكن مقتصراً على العرب وحدهم، ولا على مدينة محددة ولا على أمة معينة، بل جاء الاسلام موجهاً للناس كافة، وجاءت خطوطه متجهة مباشرةً إلى رسم دولة عالمية يسودها مبادئ هذا الدين الحنيف. ورأينا كيف أن هذه الدولة العالمية أو المجتمع الإسلامى الموحد، مجتمع عالمى بمعنى أنه مجتمع غير عنصرى ولا قومى ولا قائم على الحدود الجغرافية. بل هو مجتمع مفتوح لجميع بنى الإنسان، ومن ثم تملك جميع الأجناس البشرية، وجميع الألوان، وجميع اللغات أن تجتمع فى حمى الإسلام وفى ظل نظامه الاجتماعى، وهى تحس آصرة الإنسانية، كآصرة وحيدة تربط بينها جميعاً ، فـ " إن هذه أُمتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاعبدون" أمة واحدة بمعنى أنها عالمية فى عقيدتها وثقافتها واقتصادها وقواعدها ونظمها الاجتماعية، وعالمية فى مفاهيمها السياسية وغيرها من النواحى الحضارية ولقد أوضحت الدراسة أيضاً أن الرسالات السابقة على الإسلام، لم توجد فيها العناصر والمقومات التى من الممكن أن تضمن البقاء لأىً منها. حيث اتسمت هذه الرسالات بالمحدودية فى المنهج وبالأطر الزمانية والحدود المكانية، فكان كل رسول يدعو إلى عقيدة أكثر إيجابية وتكاملاً، وكلما جاء رسول كان يبشر برسالة تأتى من بعده، وكانت الرسالتان الأخيرتان على يقين من مجيء خاتم الرسل الذي يرسى قواعد الحياة على أساس متين قادر على أن يجتمع عليه الخلق أجمعين، ومن هنا وجدت البشارات بمحمد (صلى الله عليه وسلم) فى كتب اليهود والنصارى "الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذي يجدونه مكتو

الراسالات السابقة لم تحمل العناصر التى تضمن لها الإستمرارية والعالمية، وهو ما وجد فى رسالة الإسلام، خاتم الرسالات. الذي ينادى بنفسه رسالة عالمية للبشر كافة، فلم يجيء محمد (صلى الله عليه وسلم) رسولاً لقريش ولا لعرب الجزيرة، ولا للجنس السامى ، كما جاء المسيح (عليه السلام) لهداية خراف بنى إسرائيل- كما قال - إنما أرسل محمد إلى البشر كافة فى أقطار الأرض جميعاً. والإسلام يعد نفسه خيراً وبركة ورحمة للناس جميعاً :" وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

- وبالنسبة لباقى تساؤلات الدراسة الخاصة بالمبحث الإسلامي، فإن الإجابة عليها يمكن أن تنحصر فى نقاط محددة فيما يلي :

- استطاعت الأمة الإسلامية عندما امتدت خلافتها وترامت أطرافها أن تقدم للإنسانية نموذجاً للعولمة - وإن لم يكن المصطلح قد ظهر لديهم آنذاك - يختلف تماماً عن النموذج الغربي المعاصر. فلقد ساد الإسلام الدنيا بمبادئ معينة لا يحملها إلا هو، ويصعب على أى إنسان مهما كانت جنسيته، وكانت فطرته سليمة أن يرفضها، لأن مبادئ الإسلام ببساطة هى مبادئ الفطرة، فالإسلام يقرر مبدأ الأخوة الإسلامية التى تقوم مقام الجنس ومقام الوطن، بل مقام الدم ومقام النسب، والحق أن أواصر الأخوة فى الله هى التى جمعت أبناء الإسلام أول مرة ، وأقامت دولته، ورفعت رايته، وعليها اعتمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى تأسيس أمة متحابة فى الله، وملتقية على شعائره، متآلفة القلوب على نصرته، وملتقية على شعائره، وتلك نعمة عظيمة من الله مَنَّ بها على عباده وجعلهم أخوة فى مشارق الأرض ومغاربها "واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .. " فهل تستطيع العولمة الغربية المعاصرة أن تقدم مثل هذا النموذج الرباني ؟!.

- إن عالمية (عولمة) الإسلام تحرص على التمييز بين المسلمين ولكن فى المراتب والدرجات ، لا بحسب الأوضاع الاجتماعية أو الاقتصادية أو

الجنسية، بل بحسب التقوى وحدها " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. " . ومن ثم فلا يوجد تمييز بين أبيض وأسود وأصفر. وفى هذا شجب للتمييز العنصري وإعلاء لقيمة الإنسان . ويعتبر الإسلام أول دين سماوى يحمل راية استنكار التمييز العنصري بين البشر، ولذلك انتشر وساد، ورفض أيضاً فكرة التمايز الطبقى، فتعاليم الإسلام ترفض استعلاء طبقة على أخرى، وتحكم فئة فى المجتمع أو فى نظام العمل، فقد أصبح الجميع فى ظل الإسلام بنعمة الله إخواناً، ولذلك انتشر الإسلام وساد كنموذج عالمى فريد يحض على رعاية بنى البشر كمجتمع واحد. فيضع الخطوط العريضة للتكافل الإجتماعي باعتبار أن مواطنى هذا المجتمع أمة واحدة متماسكة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً. وقد ترددت هذه المعانى الإنسانية والإجتماعية الجليلة فى كثير من آيات القرآن. واشتملت عليها نصوص الدعوة للإسلام، كرعاية الجار، والرأفة باليتيم، وإطعام المسكين، واحترام حقوق الغير، وبر الوالدين، وبالجملة ظهرت صورة التكافل الإجتماعى مشرقة وضاحة فى فريضة الزكاة، فهل تتضمن العولمة الغربية المعاصرة مثل هذه المبادئ السامية ؟!.

- إن عالمية (عولمة) الإسلام لا ولم تتعسف الأمور فمبادئ الإسلام لا ولم تجبر أحد على اعتناقها، ولم يكلف المسلمون بإكراه غيرهم على اعتناق عقيدتهم من حيث أنها الصورة الكاملة الشاملة الصادقة لدين الله الواحد فى الأرض، ولكنهم يتمسكون بما أعلمهم به ربهم من أنه "لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى". وفى المقابل كلفهم بحامية المؤمنين حتى لا يُرَدُّوا عن دينهم، وكف القوة عنهم بالقوة حيث لا جدوى من الدعوى بالحسنى فى هذه الحالات.، وكلفهم بكفالة حرية الدعوة، وإقامة العدالة الكبرى فى الأرض وتمتع البشرية بهذه العدالة فى كل ميادينها وكلفهم بعلاقة معينة فى مجال العلاقات الدولية بين الدولة الإسلامية والدول

الأخرى، حيث تقوم هذه العلاقات على السلام وحسن الجوار والمعاملة الطيبة واحترام الحقوق و المواثيق الدولية، ونبذ الحرب والعدوان إلا فى حالة الدفاع ورد الاعتداء الموجه إلى الأمة الإسلامية:"وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين" ومع ذلك "وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون". ومعنى ذلك أن تحافظ عليه ويكون أمانة فى عنقك حتى يغادر حدود الدولة الإسلامية إلى مكان يأمن فيه على نفسه. هذا المبدأ من أسمى مبادئ الإسلام التى شجعت كثيراً من غير المسلمين على الدخول فيه واعتناق مبادئه. هذا على المستوى الفردى، أما على المستوى الدولى فإن علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول تقوم أيضا على أساس البر والعدل فى المعاملة طالما أن هذه الدول لم تهاجم ديار المسلمين، فيقول سبحانه وتعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين".

فمن اعتدى على دين الله أو على الإسلام أو على المسلمين، فهنا ينقلب الأمر إلى قوة مرهبة، مرعبة، مدمرة معدّة سلفاً امتثالا لأمر الله "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم". وفى الحرب أمر الله المسلمين بالإستجابة إلى السلام فور أن يجنح له العدو" وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله" . والإسلام دين السلام ولكن فى حالة عدم الاعتداء. والسلام الذى يقدسه الإسلام ويدعوا إليه يتفق تماماً مع الروح العامة له، والتى تتمثل فى "السماحة" وسماحة الإسلام مبذولة للبشرية كلها، لا لجنس ولا لعقيدة معينه منها إنما هى لبنى أدم لكونه إنسان. وهذه الروح قد مكنت الإسلام من إقرار السلام فى الأرض وقت أن ملأ دين الله الأرض من مشرقها إلى مغربها عدلاً بفضل تأليفه بين الأجناس

والألوان و من تنقية الحياة من التحاسد الفردى، والتطاحن الطبقى، التناحر العنصرى، وكف الحروب التى تقوم على تلك الأسباب.

يتضح مما سبق أن الإسلام رسالة عالمية بعثها الله للناس كافة، وقد تحققت عالمية هذه الرسالة وقت أن تمسك المسلمون بجميع مبادئها.وقد أظهر الإسلام والمسلمون ما فى دين الله من عناصر العالمية، وبينوا أن تلك العناصر تستطيع الإستجابة لمتطلبات الواقع التى تتضمن متغيرات الزمان والمكان، وتستطيع أيضا التكيف مع الإستمرارية الحضارية بنفس الدرجة التى تحافظ فيها على أصالتها[1]. وجوهرها كعقيدة غراء تتفق مع فطرة الإنسان السليمة فى كل زمان ومكان. وهذا ما جعل الإسلام فعلاً رسالة عالمية وموجه للعالمين، وقد عاشت الإنسانية نموذج تلك العالمية (العولمة) فى فترة غابرة من حياتها. وتختلف عالمية(عولمة) الإسلام تماماً عن النموذج الغربى للعولمة. ويمكن الوقوف على مظاهر هذا الاختلاف فى النقاط المعروضة فيما يلى:-

وتدعو العولمة الغربية إلى ثقافة كونية أو عالمية تحتوى منظومة من المعايير الخاصة لفرضها على العالم أجمع، بغض النظر عن المفهوم الأخلاقى أو العلمى لتلك المعايير، وعلى هذا تمثل العولمة تحدياً ثقافياً ذو طابع أرتقائى خاص قائم على الاجتياح الثقافى من أجل فقدان الدول الصغيرة ثقافتها، ومن أجل الانقسام الداخلى وظهور الشروخ الثقافية الحضارية، وذلك بمحاولة إحلال مفاهيم الثقافة العلمانية الغربية مكان مفاهيم الثقافات الأخرى وخاصة مفاهيم الثقافة والحضارة الإسلامية فى المجالات المختلفة.

- تتحدى العولمة الغربية الدولة القومية لتفتح حدودها لنوع جديد من التناقض الحر، حيث تنطوى العولمة على تفتيت الحدود الوطنية، ومن ثم إضعاف السلطة الوطنية وقدرتها على تطبيق القوانين الوطنية داخلَ تلك الحدود. ومن الواضح أن التطورات والإفرازات

المجتمعية على المستويات المختلفة المحلية والوطنية والدولية تقود اليوم نحو بلورة نخبة عالمية سيكون بإمكانها التحكم عن بعد فى مجرى الأمور فى الدول الأقل قدرة على الصمود ومواجهة التحديات. وقد ظهرت بالفعل تجليات وفاعليات تلك النخبة وتجلياتها فى بعض دول العالم، ومنها بعض الدول العربية والإسلامية. فى ظل هذا الجو تصبح الدولة عاجزة عن القيام بدورها فى إعادة توزيع الناتج القومى بطريقة أكثر عدلاً، وتصبح عاجزة عن حماية مصالح الشرائح المهمشة. وتنتهى بأنها لا تستطيع أن تحمى السلام الاجتماعى نفسه على أرضها. وهذا الوضع هو التطبيق الواقعى لأهداف العولمة، والتى أهمها، سحق الهُوية والشخصية الوطنية المحلية وإعادة صهرها فى اللاهوية وشخصية عالمية بحيث يفقد الفرد مرجعيته ويتخلى عن انتمائه وولائه، وينفصل عن جذوره، ويتأثر بقاء سلطة الدولة القومية بضربات معاول العولمة التى دفعت إلى العالم بأثقال الشركات عابرة القارات، ومتعددة الجنسيات، الأمر الذى يعانى معه الكثير من الدول النامية سوء الأوضاع الداخلية التى لا تؤهلها لمواجهة تحديات العولمة، ومن ثم فهى مهددة بخطر إنقاص سيادتها بنقلها إلى كيانات دولية وإقليمية أكبر منها.

إن التجارب التنموية الناجحة فى منتصف القرن العشرين تعلمنا أن هناك اختيارات سياسية مختلفة تساعد على تحطيم قيود التخلف، وتسمح للمواطنين بمساحة سياسية كافية لرسم طريقهم على الحدود الخارجية، وقد تم إعداد الكثير من برامج العولمة التى تحرمنا من هذه المساحة.

- فى ظل العولمة الغربية لا تشكل الدول الصغرى- الأقل نمواً أو تطوراً- قوة انتاجية حقيقة إلا بارتباطها المفروض بالمراكز الرأسمالية التى تسيطر عليها، والتى تنقص من السيادة الكلية والسيطرة للدولة على أراضيها ومنشآتها. وطبقاً لإتفاقية الجات سيتحول العالم إلى سوق كبيرة

مفتوحة تغذى احتكارات الدول المتقدمة للحصول على أكبر عائد على حساب الدول النامية، حيث تفتح تلك الإتفاقية أسواق الدول النامية أمام صادرات الدول الغنية بما يسمح لها بالقضاء على القاعدة الصناعية لهذه الدول من خلال المنافسة غير العادلة، الأمر الذى يشير إلى أن قضية الفقر ستظل تمثل أحد أهم التحديات الفعلية فى ظل تدويل الإقتصاد إنتاجاً وتوزيعاً واستهلاكاً، ولقد تبين فى الواقع أن النمو الإقتصادى وجهود التنمية التى بذلت فى السنوات الأخيرة فى المجتمعات غير الرأسمالية لم تؤد إلى نتائج ملموسة فى التقليل أو الحد من دوامة الفقر، أو تخفيض أعداد الفقراء، أو سد الإحتياجات الأساسية للايين من البشر الذين يعيشون الحرمان البشرى أو تحت ما يسمى بخط الفقر.

إن أساليب ومخططات العولمة فى مفهومها الغربي يجعل من الصعب توفيق الحياة بين عالمين اثنين ظهرا فى صحوة العولمة، الدول الصناعية الكبرى فى جانب، والدول الفقيرة فى الجانب الآخر. ففى الفئة الأولى ازدادت الصادرات عشرة أضعافها منذ عام 1950، وارتفعت الإستثمارات الأجنبية بسرعة فائقة، وتصدرت مبيعات الشركات المتعددة الجنسيات صادرات العالم. وارتفع معدل تدفق التبادل الأجنبي من 15 مليار دولار يومياً عام 1973 إلى أكثر من 1.3 تريليون دولار يومياً حالياً. وعلى الجانب الآخر نجد الضعف الإقتصادي فى الدول النامية والفقيرة، ويسود عدم الإستقرار الاجتماعي، ويخيم الفقر المدقع على نحو 1.2 مليار نسمة، ويوجد نحو 140 مليون عامل من 4 مليار إجمالى القوى العاملة، عاطلين عن العمل، ويتركز السواد الأعظم منهم فى الدول النامية. هذا بالإضافة إلى أن عدم المساواة ظهرت جلية واضحة بين وداخل الدول، فنتج عنها انتشار الصراعات والحروب، ونقصان مرافق البنية التحتية..إلخ.

ومن الحقائق الثابتة والمعروفة حالياً أن أكثر من 1.2 مليار نسمة من مجموع سكان العالم، أى شعب واحد من كل خمسة شعوب يعيش الفرد فيه على أقل من 2 دولار يومياً. فهل يكفى هذا المبلغ متطلبات الفرد الضرورية من مأوى، وطعام، وماء، وملبس. وعناية صحية ملائمة.. إلخ إن الأمر المثير للإزعاج هو أن هذا الحال يوجد فى وقت تتباهى فيه بعض أجزاء العالم بالرفاهية الخيالية، والتقدم التكنولوجى الهائل، والثروات المادية الطائلة إلى الدرجة التى وصل مها البعض إلى التباهي بأنهم بالعلم يستطيعون استنساخ مخلوق ! وهذا خلل تاريخي عميق يعيشه العالم حالياً، ويرجع إلى تواجد كل من الثروة الهائلة. وأيضاً (القذارة) جنباً إلى جنب

- من مظاهر العولمة الغربية على المستوى الاجتماعى انتشار أنماط السلوك الغربى بمساهمة ثورة الاتصالات والمعلومات والتقدم المتزايد فى مجال الإعلام بغرض تجريد المجتمعات من ذاتيتها لكى تصبح مؤهلة لاكتساب هوية جديدة أكثر اتساعاً وأوسع مدى، حيث تسلب من المجتمعات فى ظل العولمة إرادتها لصالح قوى عظمى مهمينة على الوعى، ومن الواضح أن الآثار الاجتماعية للعولمة مرتبطة بما حدث من تغيير فى هياكل الاقتصاد العالى، ويكشف هذا التغير عن آثار نظام مالى جديد يتغذى على الفقر وتدمير البيئة، ويولد الفصل الاجتماعى، ويشجع العنصرية والنزاعات العرقية، وهذا كله يؤدى إلى تفكك اجتماعى وفوضى اجتماعية محلية وعالمية بدأت بشائرها فى الظهور، ففى السنوات الأخيرة تصاعدت خطورة التفاوت الصارخ بين الأغنياء والفقراء، ونجم عنها اشتداد التوتر والقلق، وتصاعد العنف والإرهاب والجريمة المنظمة التى أصبحت من أكثر الأنشطة الاقتصادية ربحية حيث يصل صافى ربحها إلى ما يزيد عن خمسمائة مليار دولار سنوياً! ولعل اخطر جرائم

العولمة تهريب المخدرات والاتجار فيها، وتهريب الأسلحة، والمتفجرات، وغسيل الأموال المتحصلة من جرائم، وهروب المطلوبين للمحاكمة إلى خارج حدود الدول، وجرائم الفساد الحكومى والإدارى، وتصدير الأغذية الفاسدة والمواد المشعة، وهى جميعها جرائم عابرة للقارات تقوم بها عصابات منظمة محلية ودولية. ومن أهم الأسباب التى تؤدي إلى الجريمة - بل إلى العنف والتطرف والإرهاب - حالة الاغتراب والضياع التى يشعر فى إطارها بعض الناس بالحاجة إلى الهروب من الواقع. وكذلك تراجع دور العملية الثقافية - الاجتماعية، وخاصة فى المجتمعات التقليدية والنامية. تلك العملية التى كانت الأكثر عراقة وتأثيراً فى تطور وإدارة هذه المجتمعات، وذلك بسبب الاختراق من الكاسح للعمليات الاقتصادية والإعلامية والثقافية كوسائل فاعلة للعولمة الغربية.

تلك كانت أهم الفروق والاختلافات بين عالمية الإسلام والعولمة الغربية، والتى يتضح منها أيهما أصلح وأنفع للإنسانية والإنسان أياً كان جنسه أو لونه أو دينه، أيهما يحقق الوجود الحقيقى للإنسان من حيث كونه إنساناً بالفعل، وذلك وصولاً إلى الغاية النهائية التى خلقه الله من أجلها، وخلق له العالم بما فيه كوسائل مساعدة على تحقيق تلك الغاية الإلهية.

والله أعلى وأعلم.

المصادر والمراجع

أولا : المصادر

القرآن الكريم

ابن ماجة (ابو عبد الله محمد: بن يزيد القزوينى) : سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، د. مصطفى محمد حسين الذهبى، 5 أجزاء، ط الأولى، دار الحديث، القاهرة 1419هـ - 1998م.

ابو داود (سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى) : سنن أبى داود، 4أجزاء، دار الحديث، القاهرة 1408هـ-1988م.

البخارى (ابو عبد الله محمد بن: اسماعيل) : صحيح البخارى تجاشيه السّندى، 4أجزاء، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (د.ت).

الترمذى (ابو عيسى محمد بن: سورة) : سنن الترمذى،5أجزاء، دار الفكر، بيروت 1414هـ-1994م.

مسلم (ابو الحسن مسم بن: الحجاج بن مسلم) : صحيح مسلم بشرح النووى، 7أجزاء، ط الأولى، دار المنار، القاهرة 1418هـ-1997م.

ابن كثير (ابو الفداء) : البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، 14جزء،

دار الحديث، القاهرة 1413هـ-1992م.

ابن هشام (ابو محمد عبد الملك بن هشام) المعافرى : السيرة النبوية، تحقيق د.محمد فهمى السرجانى، 4 أجزاء، المكتبة التوفيقية القاهرة (د.ت).

ثانياً : المراجع العربية والمترجمة إلى العربية

أبو الأعلى المودودى : الإسلام والمدنية الحديثة. طبعة القاهرة، 1978.

أبو بكر الجزائرى : عقيدة المؤمن، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت).

إبراهيم نافع : انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة، مركز الأهرام للترجمة والنشر 2002.

دكتور احمد سيد مصطفى : تحديات العولمة والتخطيط الاستراتيجي برؤية مدير القرن الحادى والعشرين، طبعة 2000.

دكتور أحمد عرفة، سمية شلبي : العولمة والنظرية ض فى العربية، نظرية دحر الفراغ-الرسالة للطباعة، طنطا (د.ت).

دكتور أحمد مجدى حجازى : الثقافة العربية فى زمن العولمة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع 2001.

دكتور أحمد محمود صبحى : هاؤم إقرؤا كتابيه، محاولة لتجديد الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية 2002.

دكتور آدم مهدى أحمد : العولمة وعلاقتها بالهيمنة التكنولوجية، الشركة العالمية

للطباعة والنشر، القاهرة 2000.

أسامة المجدوب : العولمة والإقليمية، مستقبل العالم العربي فى التجارة الدولية، الدار المصرية اللبنانية 2000.

السعيد الشربيني الشرباصي : مذاهب وشخصيات، القاهرة (د.ت).

السيد ياسين : العولمة والطريق الثالث، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة 1999م.

بهاء شاهين : العولمة والتجارة الإلكترونية، رؤية إسلامية، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة 2000م.

بول هيرست، جرهام تومبسون : مُساءلة العولمة، الاقتصاد الدولى وإمكانات التحكم، ترجمة إبراهيم فتحى، المشروع القومى للترجمة (100) المجلس الأعلى للثقافة 1999م.

دكتور جلال امين : العولمة، سلسلة أقرأ، عدد (636)، دار المعارف 1998م.

دكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافى والاجتماعي، دار الجيل،

بيروت، مكتبة النهضة المصرية، ط الرابعة عشر 1416 - 1996م.

حسين فوزى النجار : الإسلام والسياسة. القاهرة (د.ت).

دكتور حسين كامل بهاء الدين : التعليم والمستقبل. دار المعارف. القاهرة 1990م.

------------ : الوطنية فى عالم بلا هوية، تحديات العولمة. دار المعارف، القاهرة 2000م.

دكتور خالد أحمد حربى : نشأة الإسكندرية وتواصل نهضتها العلمية، ملتقى الفكر، الإسكندرية 1999.

رونالد روبرتسون : العولمة، النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية، ترجمة أحمد محمود ونور أمين، المجلس الأعلى للثقافة 1998م.

دكتور سليمان الخطيب : أسس مفهوم الحضارة فى الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط الأولى 1986م.

دكتور سمير محمد عبد العزيز : التكتلات الاقتصادية الإقليمية فى إطار العولمة، الكوميسات مجموعة 15 أوروبا الموحدة، المشاركة الأوروبية الإفريقية المتوسطة، مكتبة ومطابع الشعاع

الفنية، الإسكندرية 2001م.

الشيخ سيد قطب : السلام العالمى والإسلام، ط التاسعة، دار الشروق 1409هـ - 1989م.

-------------- : نحو مجتمع إسلامي، دار الشروق، ط الثامنة 1408 - 1988م.

دكتور عاطف السيد : العولمة فى ميزان الفكر، دراسة تحليلية، الإسكندرية 2001.

عبد الباسط عبد المعطى : التبعية الثقافية فى الوطن العربي "فى الآليات والمجالات والتفسير" ، ندوة الثقافة العربية، الواقع وآفاق المستقبل، الدوحة 12-15-إبريل 1993م.

عبد الحكيم حسن العيلي : الحُريات العامة فى الفكر والنظام السياسي فى الإسلام، دار الفكر العربي 1403-1983م.

عبد الرازق السنهورى : فقه الخلافة وتطورها، ترجمة نادية السنهوري، ط الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992م.

عبد الرحمن تاج الدين : السياسة الشرعية والفقه الإسلامى، طبعة القاهرة 1952م.

دكتور عصام الدين محمد : جذور الحضارة الإسلامية، دار

على : المعرفة الجامعية 1983م.

على جريشة : نحو نظرية للتربية الإسلامية، ط أولى القاهرة 1986م.

دكتور عبد المعطى محمد جلال شرف : الفكر السياسي في الإسلام، شخصيات ومذاهب، دار المعرفة الجامعية 2000م.

دكتور على عبد المعطى : فلسفة السياسة بين الفكرين الإسلامى الغربي، دار المعرفة الجامعية 1998م.

دكتور على عبد المعطى : المدخل إلى الفلسفة، دار المعرفة الجامعية 2000م.

مايك فيذرستون، وآخرون : ثقافة العولمة، القومية والعوملة والحداثة، ترجمة عبد الوهاب علوب، المشروع القومى للترجمة (132)، المجلس الأعلى للثقافة 2000م.

مايك فيذرستون. : محدثات العولمة، ترجمة عبد الوهاب علوب، مراجعة وتقديم د. جابر عصفور، المشروع القومى للترجمة (93)، المركز المصري العربي 2000م.

دكتور محسن احمد الخضيري : العولمة مقدمة فى فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة، مجموعة النيل العربية 2000م.

------------ : العولمة الاجتياحية، مجموعة النيل العربية2000

محسن فتحى عبد الصبور : أسرار الترويج فى عصر العولمة، مجموعة النيل العربية 2001.

دكتور محمد الجوهرى حمد الجوهرى : العولمة والثقافة الإسلامية، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة 2002م.

محمد رشيد رضا : تفسير المنار للإمام الشيخ محمد عبده، مطبعة المنار، القاهرة 1927.

دكتور محمد رؤوف حامد : الوطنية فى مواجهة العولمة، سلسلة أقرأ (647) دار المعارف، القاهرة 1999م.

محمد ضياء الريس : النظريات السياسية الإسلامية، ط الرابعة، دار المعارف 1967م.

الشيخ محمد الغزالى : خلق المسلم، طبعة القاهرة (د.ت).

------------ : علل وأدوية، دار التوفيق النموذجية، ط الثانية، القاهرة

1405 - 1984م.

محمد فهيم درويش : الجريمة فى عصر العولمة (وملف لأهم الظواهر الإجرامية وأشهر المحاكمات فى مصر) النسر الذهبي للطباعة 2000م.

محمد يوسف موسى : الأخلاق فى الإسلام، مؤسسة المطبوعات الحديثة (د.ت).

ميشيل تشوسودوفيسكي : عولمة الفقر، ترجمة محمد مستجير مصطفى، كتاب سطور العاشر 2000.

هانس-بيتر مارتن، هار الدشومان. : فخ العولمة. ترجمة عدنان عباس على. مراجعة وتقديم رمزى زكى اسكندر، سلسلة عالم المعرفة 238، اكتوبر 1998م.

ول ديورانت : قصة الحضارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2001م.

ثالثاً : المراجع الأجنبية .

Arjomand, said Amir : The Turban for the crown the Islamic Revolution in Iran, New York, Oxford 1988.

Akyuz,y. and corn ford, A : Controlling capital Mov-ement ; Oxford university press 1995.

Bdudrillard, j : Selected Writing,ed. Mar-K poster, Stanford university, press, 1988.

Begesten, C.fred : Managing the world Economy of the future ; washing ton 1994.

David Held : Demo Cracy and the Global order from the Modern state to cosmopolitan Governancy, Washington 1995.

Espoito . Johnl : Islam and politics, sy – recuse university 1987.

friedman Jonathan : Cultural Identy and Global process, Gage Publications, London 1994.

lohan Balis & stevesmith : The Globalization of world Politics, and introduction to inter-national Relations, London 1997.

Muravchik, J : Exporting Democracy:

Fulfilling American's Destiny, Washington, D.C: American Enter-press Institute press, 1994.

O, Neill, Joham : Five Bodies: The Human Shape of Modern Society, Ithaca: Cornell, university, Press 1985.

Paul Hirst & Graham Thompson : Globalization and the future of the nation state, London 1995.

Samuel , Rephael(ed) Patriotism : The Making and unmaking of British National Identity, Vol. I.I Minorities and Dutsiders, London and New York: Tledge (W.D).

Schitt, corf : The crisis of parlimanen tary Democracy, translated by Ellen Tennedy, Cambridge, MA and London 1988.

stark,Rodney and Bainbridge, William sims : Atheory of Religion, New York 1987.

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة